# تاريخ فلسطين الحديث

تأليف
عمر الصالح البرغوثي
خليل طوطح

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

مكتبة الثقافة الدينية

مكتبة الثقافة الدينية

# تاريخ فلسطين

سر محفوظ إبراهيم

تأليف

عمر الصالح البرغوثي  خليل طوطح

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ ش بورسعيد - الظاهر
ت: ٥٩٢٢٦٢٠ - فاكس: ٥٩٣٦٢٧٧

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية
رقم التسجيل ٧٢٤٩٤

حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر

مكتبة الثقافة الدينية

بسم ا لله الرحمن الرحيم

---

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل خلق البشر الصادق الأمين، وبعد ..

خير وصف لقضية فلسطين، توصف به فى إيجاز، أنها مأساة، يتناسى أهل الرأى فى سياسة العالم كيف نشأت، فيتعذر عليهم أن يهتدوا إلى حل لها.

والجمهور، فى غير الشرق، لايدرى عن قضية فلسطين إلا أن هناك شعباً أصيلاً، هو الشعب الفلسطينى العربى، يعلن أنه ظلم ولا يزال يظلم، وفى كل يوم يأتى له ظالمه بمضاعفات جديدة، يصفها بأنها مسكنات مؤقتة لمعضلة مستعصية الحل.

وهناك مهاجرون يهود، يقيمون فى فلسطين من نيف وعشر سنوات، يقولون إن البلاد هى بلاد أجدادهم الأبعدين. فهم إذن أهل البيت. أما الذين ولدوا فيه، واستقروا فيه، بعد آبائهم وأجدادهم وأجداد أجدادهم، أجيالاً بعد أجيال دون انقطاع، فهم فى وطنهم، الذى لا وطن لهم غيره، غرباء عنه، لأنهم ليسوا بيهود. وما فلسطين إلا لليهود. لأن اليهود، قبل عهد المسيح، إنما نشأوا فى فلسطين !!

صحيح أنهم رحلوا عنها.

فأصبح منهم البريطانى الصرف.والفرنسى الصرف. والألمانى الصرف.

والروسى الصرف: وهكذا. وأصبحوا، فى البلاد التى رحلوا إليها، من أزمان بعيدة، يعتبرون فيها من المواطنين، يتمتعون، دون تمييز مجحف بهم، بجميع الحقوق السياسية والمدنية والاجتماعية التى يتمتع بها إخوانهم المواطنون الآخرون، حتى إن كثيرين منهم تولوا فى البلاد التى استقروا فيها رياسة الوزراء.

إلا أن اليهود، دون غيرهم من المواطنين، يجب فى نظر الصهيونيين أن يكون لكل فرد منهم، إلى جانب وطنه السياسى، الذى يشاطره إياه غيره من المواطنين، وطن روحى رمزى فى فلسطين. لأن فلسطين هى أرض الميعاد بالنسبة لليهود. فيجب أن تباح الهجرة إلى فلسطين لكل من رغب فى ذلك، مهما كانت جنسيته السياسية ولونه القومى، بشرط واحد أن يدين باليهودية فيؤمن بالصهيونية. وهذا، من الوجهة السياسية، استناداً إلى وثيقة صدرت من جانب واحد: هو جانب الحكومة البريطانية، عرفت "بتصريح بلفور" وسجلت فيما بعد فى قرار أصدره مجلس "عصبة الأمم" بإثبات انتداب بريطانيا العظمى على فلسطين.

فلهذا نقدم للمكتبة العربية كتاباً جديداً وهو تاريخ فلسطين رداً على الإدعاءات الإسرائيلية، وعودة الحق لصاحبه، والله الموفق ..

الناشر

# مقدمة

لما رأينا الأمة العربية جادة فى بناء جامعتها التي لا تقوم إلا بإحياء تاريخها عمدنا إلى وضع تاريخ فلسطين لما له من الأهمية التاريخية ولأنه يجب على كل إنسان أن يدرس تاريخ بلاده وأمته ثم تاريخ الأمم الأخرى وقد إستطردنا في البحث عن شرقي الأردن وسورية والعراق والحجاز ومصر وما هبط إلينا من الأمم الغريبة ليستفيد منهُ الطالب ويستعين به الأستاد فلم نفرط في أختصار الحوادث الأجنبية كما انا لم نسهب في تفصيل أخبار العرب ونفخنا فيه من الروح الوطنية المفرغة في قالب التاريخ الذي كنا نظنهُ سهل المأخذ قريب المتناول فالفيناه صعب المرام بعيد المنال تعجز الأفكار عن إستجلاء مشاكله وتجمد القرائح في تدقيق متناقضه لا سيما أن تاريخ العرب غامض لم ينخله الناقدون وقد تخلله فترات من الزمن لم يسجلها المؤرخون ولم تكشفها الحفريات والنقوش فلا جرم إن اشتبه علينا الخطأ بالصواب لرغبتنا في سرعة إنجازه لأنا بحاجة ماسة إليه وإنا شاكرون كل من نبهنا لإصلاح أو تكرم بستر عورة فما الكمال إلا ا لله ونرجوا ا لله أن يجني مواطنوناً منهُ نفعاً وهو الموفق للصواب .

" المؤلفان "

# القسم الأول

## في تاريخ فلسطين من بدئه حتى الفتح العربي الإسلامي

# الفصل الأول

## في تاريخها قبل الفتح اليهودي

### (١) حدود فلسطين التاريخية والسياسية

ورد في التوراة عبارة تدل على حدي فلسطين الشمالي والجنوبي وتثبت أنها كانت "من دان إلى بئر سبع" . ودان إسم لأحد أسباط اليهود أو إحدى قبائلهم التي سكنت عند تل القاضي الذي ينبع نهر الأردن قريباً منه. وبئر السبع مدينة واقعة جنوبي فلسطين. أما حد فلسطين الغربي فهو البحر المتوسط الذي لا يتغير. وأما الحد الشرقي فمختلف فيه والحقيقة أنه كان يتقلص أحياناً إلى نهر الأردن وأحياناً يمتد حتى الصحراء والخط الحجازي وذلك بحسب الظروف وتقلبات السياسة .

### حدودها السياسية الحالية

لم تتم الآن المفاوضات بين إنكلترا وفرنسا لوضع الحدين الشمالي والشرقي بين سوريا وفلسطين غير إنه يمكننا أن نعتبر خطاً من رأس الناقورة (وهي نقطة على البحر شمالي عكا يطلب فيها جوازات السفر) إلى شمالي صفد فنجعله حداً شمالاً. والبادية حداً شرقياً كما ورد في صك الأنتداب والبحر المتوسط حداً غربياً. وشمالي الحفير ورفح حداً جنوبياً.

(٢) مساحتها

لا يمكن أن نبت القول في تقدير مساحة فلسطين لأن حدودها الشمالية والشرقية لم تعين حتى الآن ولو إنا ذرعناها من الشمال إلى الجنوب لكانت ٢٤٠ كيلو متراً تقريباً. أي إنا إذا سرنا كل يوم ثماني ساعات وقطعنا في كل ساعة منها خمسة كيلو مترات نجتازها من الشمال إلى الجنوب في ستة أيام. على أن القطار يستطيع أن يطويها فيما بين ٧ أو ٨ ساعات ويتراوح عرض فلسطين ما بين ١١٠ كيلو مترات إلى ١٦٠ فهو على ذلك نصف طولها تقريباً. أما مساحتها فتساوي ثلث مساحة سوريا الممتدة من جبال طورس حتى رفح ومن البادية إلى البحر المتوسط .

(٣) أسماؤها :

كانت فلسطين ولا تزال جزءاً من سوريا لا يفصلها عنها حد طبيعي ولا يبعدها عامل جنسي أو تاريخي لذلك لم يفرد لها المؤرخون أسماً مستقلاً بل كانوا ينسبونها إلى الشعوب والقبائل التي سكنتها. وأهم أسمائها التاريخية هي:

أ- أرض كنعان: وهذا أول اسم سميت به نسبة إلى الكنعانيين الذين هم أسرة سامية. وكانت في عصرهم تشمل جزءاً كبيراً من سوريا حتى حمص وحماه .

ب- فلسطين: أطلقت اليونان والرومان هذا الأسم عليها نسبة إلى سكانها الفلسطينيين الأقدمين الذين لم يتوطنوا إلا الساحل ما بين يافا وغزة وكانت "فلسطيا" لا تشمل سوى هذه البقعة الضيقة فقط ولبقاعها الأخرى أسماء خاصة بها. فيظهر من ذلك أن تسمية جميع البلاد بفلسطين هو من باب تسمية

الكل بأسم الجزء.

جـ- أرض الميعاد: سماها اليهود أرض الميعاد زعماً منهم أن ا لله وعدهم بها في أيام إبراهيم وفيما بعد ذلك أيضاً.وقد أمتازت علماء التوراة في ذلك فرقتين فرقة تقول أن النبوات تمت وإنقضى زمنها. وفرقة تقول أن ا لله سيعطي البلاد لليهود بعد أن يتنصروا.

د- الأرض المقدسة: يسميها مسيحيو الغرب بهذا الأسم لتقدسها بمن ولد فيها وزارها من الأنبياء والرسل والمصلحين. وكذلك دعا المسلمون "إيليا" القدس وبيت القدس لإنها مهد الأنبياء ولأن النبي أسري به إليها ليلاً.

(٤) تأثير موقعها الجغرافي على تاريخها :

أن علمي التاريخ والجغرافيا صنوان متلازمان وتوأمان لا يستغنى أحدهما عن الآخر. ومن تغلغل في البحث وتأمل في تأثير المناخ على طبائع السكان أمكنه أستنتاج فوائد جمة ومنافع ذات قيمة واتضح له أن سكان المناطق الحارة كالسودان وغيرهم يغلب عليهم الخمول والجمود فيظلون سحابة نهارهم نائمين في ظل نخيلهم وأجواف كهوفهم خلافاً لسكان المناطق الباردة الذين يقضون أوقاتهم في الجد يخوضون غمار العمل بنشاط لا مثيل له بين أبناء المناطق الحارة. وكما أن للمناخ تأثيراً على طبائع السكان كذلك للموقع الطبيعي علاقة كبرى في تاريخ الأمم والأفراد وتطورهم. فمصر لولا النيل لكانت صحراء مجدبة ولما أشرقت عليها شمس هذه المدينة الزاهرة وتجارة نيويورك العظيمة لم تتسع ويحكم بناؤها إلا على أساس موقعها الجغرافي. ولولا

ما لموقع القسطنطينية من علو الشأن لما طمعت فيها الدول وتاقت إليها نفوس الفاتحين. ولقد كان موقع إنكلترا في جزيرة من أكبر العوامل التي جعلتها تعتني بشأن بحريتها حتى أصبحت ذات أسطول ضخم ملكت به البحار وكانت به الدولة البحرية.

وهكذا فلسطين فأننا لا نفهم تاريخها جيداً إلا بعد أن نعرف موقعها الجغرافي وحالتها الطبيعية ولذلك نقول: فلسطين أقليم صغير واقع في المنطقة المعتدلة الشمالية بين بحرين كبيرين الأول الرملي في شرقها والثاني المائي في غربها. بل هي جسر بين آسيا وأفريقيا وأوروبا وطريق عمومي لسكان وادي النيل ودجلة – مهدي مدنية العالم القديم – بل خط إتصال بينهما ولذلك كان كلاهما ينزع لاخضاعها كي يجهز على خصمه ويأمن من شره وغاراته. هي محطة بين الشرق والغرب تتنازع عليها الأمم القديمة والحديثة كي تسيطر على طرق التجارة كانت لا تزال ساحة حرب وميدان قتال للدول القديمة والحكومات الحديثة. فكم من قائد ظفر في سهولها وآخر سقط جيشه أسيراً وخر قتيلاً أو هزيماً. فكأنها ساحة أُعدت لمبارزة القواد والعظماء أمثال: بنوخذ نصر وصحوتميس* (طتميس والإسكندر وبومبي ويوليوس وأغسطس وتيطس وكسرى وأبو عبيدة وصلاح الدين وقلب الأسد والسلطان سليم وبونابارت وإبراهيم باشا وليمان فون ساندرس باشا واللنبي نسل إليها الجنود من آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا وأستراليا وزيلاندا الجديدة فكانت مسرحا يمثل فيه

---

* هذا على حسب اللفظ السامي القديم. وأما الشكل "طوتميس" فهو مأخوذ عن التحريف الأفرنجي.

أجناس البشر بلباسهم الوطني رواية عالمية فالفلسطيني الذي لم يخرج من بلاده شاهد سكان الكرة الأرضية من غير أن يركب لذلك الأهوال أو يتحمل المشاق والمتاعب كأنه طاف الأقطار .

تعاقب في توطن فلسطين والحكم عليها جميع أجناس البشر من سامي ومغولي وأرياني لم تقطنها أُمة واحد بل كانت في سائر أدوارها أما مندمجة في سوريا أو ملحقة بمصر ولئن إستحال عليها في الماضي أن تكون بلاداً مستقلة لموقعها الجغرافي وصغر مساحتها وتخالف سكانها فستكون في مقبل الأيام كذلك أما متصلة بمصر أو مرتبطة بالعراق . والماضي مرآة الآتي وهو أشبه به من الماء بالماء.

(٥) سكانها:

إن جميع التواريخ القديمة مظلمة فلا يعول عليها ما لم يؤيدها العقل والعلم والحفريات والآثار وأقدم تاريخ لفلسطين يبتدى من ٣٥٠٠ ق. م. بشهادة الحفريات المكتشفة أخيراً في جازر "أبو شوشه" وهي قرية قرب الرملة وقد قام بهذه الحفريات بين سنة ١٩٠٢م و ١٩٠٥م جمعية إنكليزية The Palestine Exploration Fund يرأسها الأستاذ مكالستر Macalister وذكر هذا الأستاذ أنه قد سكن فلسطين قديماً أقوام غير ساميين وبرهن على ذلك بما نطقت به الآثار وشهدت له الرسوم والأحجار .

وتلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

وهذا ما أستنتج من الآثار المذكورة :

١- كان سكان جازر (أبو شوشه) قصار القامة يتراوح طولهم ما بين ٥ أقدام و٤ بوصات و٥ أقدام و٧ بوصات .

٢- كانوا من أبناء العصر الحجري فزاولوا زراعتهم وجميع أعمالهم وحربهم بادوات صوانية كالفأس والمنجل والحراب .

٣- دجنوا الحيوانات الأهلية كالبقر والماعز والخراف والخنزير وربوا هذه الحيوانات في مغاورهم .

٤- كانوا يقطنون الكهوف التي لا تزال موجودة حتى الآن ولكن بعد ألف سنة من ذلك العهد أي سنة ٢٥٠٠ ق.م. تدفق على فلسطين سيل عرم من سكان العراق وأواسط جزيرة العرب فنزلوا بها وعمروها وشادوا فيها المدن وها نحن نقص نبأ أهم الشعوب التي سكنت فلسطين .

أ- الكنعانيون :

هم قبيلة سامية نزحت من جزيرة العرب وأوت فلسطين وكانت لغتهم القومية اللغة العبرانية التي إقتبستها أمة اليهود منهم بعد أن تركت لغتها. وكانت مساكن الكنعانيين الأولى في منخفضات الأرض ولذلك سموا كنعانيين لأن معنى "كنعان" في لغتهم الأرض المنخفضة. وكانت بلادهم واسعة الأطراف يحدها شمالاً مدخل حماه شمالي لبنان وشرقاً بادية الشام وجنوباً بادية العرب وغرباً البحر المتوسط عكفوا على الزراعة والتجارة زمناً طويلاً حتى

أتت إليهم اليهود فحاربتهم وتغلبت عليهم وأحتلت مدنهم المسورة ولأن ديانتهم كانت وثنية حرمت اليهود التزوج منهم والإمتزاج بهم. وكثيراً ما ورد ذكر الكنعانيين في التوراة. قال في سفر التكوين ص٣ : ١١ أن الكنعانيين سكنوا في البلاد وأن إبراهيم سكن معهم. وقد ورد أيضاً في التوراة ذكر حروبهم مع اليهود في أريحا وجبعون وبيت أيل ولكن اليهود لم تستأصلهم فمنهم من ذهب إلى الشمال ومنهم من بقي في البلاد فسيطرت دماؤهم في عروق السكان وتمثلوا في سواهم من الأمم الأخرى .

وقد وجد في الكرنك أسماء ١١٩ مدينة من المدن الكنعانية التي إحتلها صحوتميس فرعون مصر حين غزا البلاد وانتصر على أعدائه ومن هذه المدن صور ويافا وعكا.

ب- الحثيون :

قبيلة أنفصلت من تركستان نحو سنة ١٧٠٠ ق.م. وأنهالت على فلسطين وهم فرع من شجرة مملكتهم المؤسسة في شمالي سوريا وآسيا الصغرى. وكانت عاصمة الحثيين "ختي" التي تسمى اليوم "بوغاز كوي" وحارب الحثيون فراعنة مصر ويؤيد هذا القول ما شوهد من النقوش والرسوم المحفورة على الأعمدة في هيكل الكرنك في مصر. وقد حاربهم عرمسيس ١٤ سنة فلم يتمكن من إخضاعهم ولذا أضطر إلى محالفتهم. أما الملك ستي الثاني فإنه حار بهم وقهرهم.

والحيثيون الذين سكنوا فلسطين هم بقايا أولئك الذين حاربوا المصريين

وسكنوا بين القدس والخليل. وأمتد ظلهم زمناً إلى بيت أيل ونابلس. وذكر أن إبراهيم شرى مغارة المكفيلة (حرم الخليل وقبور الأنبياء) من الحثيين ودفن فيها زوجته ساره وبعض بنيه وأحفاده. وأنهم أنجبوا بعضاً من العظماء مثل أوريا الحثي الذي كان ذا بأس في جيش داود.

## جـ- اليبوسيون

جل ما نعرفهُ عنهم أنهم سكنوا القدس ولكن لم يعرف أصلهم حتى الآن. وقيل إنهم بطن من الكنعانيين. وكانت القدس تدعى قديماً ببوس فلعلهم سموا اليبوسيين نسبة إليها. ولما جاء اليهود من التيه بقيادة يشوع بن نون وأحتلوا البلاد حاولوا إستملاك القدس فعجزوا عنها وظلت في أيدي اليبوسيين إلى أن حاربهم داود فحاصرهم وهدم أسوارها ودخلها عنوةً وجعلها عاصمة ملكه وضرب على اليبوسيين الجزية حتى أيام سليمان. وقد ذكر في التوراة أن داود أشترى بيدر أرونة اليبوسي (ساحة الحرم الآن) ليبني هناك هيكلاً فلم يتوفق غير أن أبنه سليمان أنجز هذا العمل. ومن ملوكهم أدوني صادق وملكي صادق .

## د- الفينيقيون

هم فرع من الأقوام الذين سكنوا فلسطين وأبوا الخضوع لغيرهم من الشعوب القوية التي هاجمتهم فظلوا يقاومونهم. ولما عجزوا عن حماية بلادهم وعز عليهم الإستسلام والطاعة لأعدائهم أنسحبوا إلى الشمال وكانوا يترقبون الفرص لإسترجاع منطقتهم وإستخلاصها فكانوا في ذلك مع العبرانيين

كالأسبانيول مع العرب حين هاجمهم العرب فأعتصموا بالجبال وظلوا ينتهزون الفرص حتى سنحت فأنقضوا على أخصامهم وأستعادوا ملكهم غير أن الفينيقيين لم يفوزوا كالإسبانيول في نهاية أمرهم. أما الفينيقيون فأنهم وأن لم يسكنوا فلسطين فقد كانوا من بقايا أهلها وتاخموا حدودها وأثروا على تاريخها. وقد ظهر في نقوشهم المكتشفة حديثاً أنهم كنعانيون لذلك حق لنا البحث عنهم لما لهم من الشهر الفائقة والذكرى الحميدة في العصور الأول ولأنهم كانوا شعبة من الأمة السامية ولغتهم شقيقة لغتنا بشهادة نقوشهم وحروف هجائهم ولا ريب أنهم كانوا أعظم أشهر الأمم القديمة التي سكنت سوريا وفلسطين مع أنهم أكتفوا بالساحل ما بين طرابلس الشام وحيفا. ومن أهم مدنهم صور وصيداء وبيروت وطرابلس. وقد كان الفينيقيون وملكهم حيرام حلفاء سليمان فعاونوه على بناء الهيكل ونقلوا إليه الخشب مع احراج لبنان عن طريق البحر إلى يافا. وكان لهم مهارة فائقة في البناء "المعمار" والصناعة التي كانت مفقودة عند اليهود وتزوج آخاب ملك إسرائيل إيزابل الفينيقية رغم نواهي دينه وإرادة شعبه إذ كان محرماً عليهم أن يخالطوا سواهم لأنهم شعب ا لله الخاص على زعمهم وغيرهم أمم وهذا لعمري منتهى التعصب الجنسي. فرغبة الملوك في محالفتهم ومصاهرتهم دليل بين على عظمتهم وأرتفاع شأنهم. ولقد ورد ذكرهم في أنجيل مرقس عند قوله إن أمرأة فينيقية طلبت من المسيح أن يشفي أبنتها .

تجارتهم : كانت بلاد فينيقية حلقة أتصال بين قوافل العراق والشام ومصر ولذلك كان أهلها دعاة المدنية المصرية والسبب الأقوى في نشرها ونقلها إلى

جميع الأقطار التي ذهبوا إليها. ولأن بلادهم كانت ضيقة يكتنفها البحر من الغرب والجبال من الشرق لذلك أضطروا إلى مزاولة التجارة فخاضوا من أجلها لجج البحار واقتحموا الأهوال والأخطار وكان ذلك عليهم أمراً هيناً لأنهم جاوروا البحر وعرفوه وأجرأ الناس على الأسد أكثرهم رؤية له. وقد تدرجوا في أسفارهم البحرية من جزيرة أرواد إلى قبرص ورودس ومصر والأرخبيل الرومي واليونان وشمال أفريقيا ومرسليا وأسبانيا وإنكلترا. أسسوا مستعمرة عظيمة في شمالي أفريقيا (قرطجه) التي زاحمت رومية وهددت كيانها أما صناعتهم فكثيرة أهمها الزجاج الملون والأرجوان والنحاس. وأما خدمتهم للمدينة فمنها نشر الحروف الهجائية التي أعطوها لليونان فتداولوها بينهم ثم وزعوها على الأمم الأوروبية.

ومنها اختراع المقاييس والعيارات للوزن. وكانت ديانتهم وثنية منحطة ومن آلهتهم "بعل" و"عشتاروث" و "مولوك" التي كانوا يذبحون لها أولادهم ويقدمون لها قرابين .

هـ- الفلسطينيون :

من الواجب علينا أن نعرف تاريخ الفلسطينيين أكثرهم لأنا ورثنا أسماءهم وامتلكنا بلادهم ووطنهم فرأينا لذلك أن نسهب في ذكر تاريخهم إسهاباً لا يمله القارئ ولا يشف كثيراً عن جمود ذلك العصر المظلم فنقول:

ليس الفلسطينيون من أسرتنا السامية وأنما هم من الشعب الأرياني وعلى الغالب أنهم قدموا بلادنا من جزيرة كريت عن طريق آسيا الصغرى

"الأناضول" أو عن طريق مصر عندما قاتلهم رعمسيس وقهرهم وأسكنهم الساحل ما بين يافا وغزة ولما عظم شأنهم حاربوا مدينة صور وهدموها ومن مدنهم العظيمة غزةوأسدود وعسقلان وعقرون "عاقر" وجت. وكانوا وثنيين يعبدون الأصنام والتماثيل وكان عندهم صنم يدعى داجون نصفه الأعلى شبه إنسان والأسفل كالسمكة وكان له هياكل كثيرة في إسدود وغزة وعسقلان وبيت دجن التي سميت بإسمه وهي بقرب يافا ولعل مجاورتهم البحر هي التي جعلتهم يرجحون عبادة الأسماك على سواها من معبودات الوثنيين .

دخلوا البلاد وأستولوا على غربها وجنوبها بعد مجيئ اليهود بستين سنة وقد تنازع الأمتان البلاد وأستمرت بينهما الحروب سنين عديدة وكانت اليهود تستطلع أخبار الفلسطينيين من جبل النبي صمويل الواقع (على بعد ٧ كيلو مترات من شمال القدس الغربي) وترقب من السهل سائر أعمالهم ولم يقو فريق منهما على إخضاع الآخر فأستطال الخصام وأستفحل الشر وغرست البغضاء في النفوس وحقد الفلسطينيون على أعدائهم وحاربوهم في عقر دارهم "مرج ابن عامر" وهزموهم هزيمة منكرة حتى أن شاوول ملك اليهود من شدة غيظه قتل نفسه على جبل جلبوع شرقي مرج بن عامر قرب جنين فأخذ الفلسطينيون جثتهُ وجثة ولده يوناثان وعلقوهما على أسوار "بيسان" في الغور شرقي المرج.

ظهر من الفلسطينيين جبابرة منهم جليات "طالوت" الذي قتله البطل الفتيّ داود بحجر من مقلاعه قبل أن كان ملكاً أو نبياً. أمتدت المشاحنات بين

الأمتين وظهر شمشمون أحد قضاءة بني إسرائيل فحاربهم وأزعجهم ولكنهم أخيراً أسروه وقلعوا عينيه وحبسوه حتى مات في غزة وقبره هناك معروف تحول إلى جامع شرقي المدينة ويقال به "أبو العزم شمشون الجبار" .

أمتزج الفلسطينيون بغيرهم فأنقرضوا وتحوولوا كما تحول سواهم من الأمم الغابرة إلى أجناس وعناصر أخرى أما اليهود فلكونهم عاشوا منفردين معتزلين الأمم الأخرى وحرموا التزاوج مع غيرهم وحافظوا على جنسيتهم الأصلية بحرصهم على قواعد الدين ظلوا إلى يومنا هذا منتشرين في سائر أقطار الكرة الأرضية يحنون إلى فلسطين ويطلبون الرجوع إليها كما ورد في شعر إبن اللاوي الأندلسي الذي كانت روحه تطير من الأندلس على أجنحة أشعاره وترفرف فوق صهيون وفلسطين قبل ٨٠٠ سنة. ومن أعجب الحوادث التاريخية أنهم يطلبون الرجوع إليها والتوطن فيها بعد أن تركوها ١٩ قرناً وما ندري ماذا يكون جواب الأمم التي سكنت فلسطين قبل اليهود وبعهدهم إذا إستشرناهم في أمرها وسألناهم عمن هو الأحق. والبحث عن الفلسطينيين بحث واسع وأن أراد التفصيل في ذلك فليراجع كتابي الأستاذين جورج آدم سميث ومكالستر فأنهما قد وفيا هذا الموضوع حقه .

## و- القبائل الأخرى:

(١) الأدوميون: أولاد عيسو بن إسحق وكانت منازلهم جنوب البحر الميت كانوا قبائل وفرقاً وقد حاول شاوول أن يتغلب عليهم في القرن العاشر ق.م فلم يحل بطائل. ولما تولى داود أخضعهم وأحتل بلادهم وجعل

عليها حامية من جنده فهمَّ أحد قوادهم في عصر سليمان أن يخلع الطاعة فلم يفلح وظلوا تحت سيطرة الإسرائيليين إلى أيام يهوشا فاط فمالاوا أعداءه وأعانوهم على حربه ولما حمل نبوخذ نصر على أورشليم أعانوه على نهبها وذبح أهلها فكافأهم وأيد سلطتهم في أدوم ووسع حدودها من تخوم مصر حتى البحر المتوسط فداهمهم الأنباط "العرب" وملكوا بلادهم وكان بذلك أنقراض ملكهم دولتهم. ومن مشاهيرهم هيرودس الأدومي حاكم فلسطين ومساعد الرومان في تأييد نفوذهم أيام المسيح وقد لعب دوراً هاماً في التاريخ كما سيأتي.

(٢) المؤآبيون: من أبناء لوط ومنازلهم بين نهر أرنون "الأزرق" وتبوك وعربات مؤآت قبالة أريحا التي أستولوا عليها فوضع سبط بنيامين الجزية عليهم مدة ١٨ سنة في زمن ملكهم الذي قتله آهود .

(٣) العمونيون: من ذرية لوط نسل إبن عمي ومساكنهم في جهة السلط وعمان والزرقاء .

(٤) العماليق: كانت مواطنهم صحراء سينا بين المصريين والفلسطينيين والكنعانيين ومن ملوكهم كدرلعومر وهم القوم الجبارون الذين حاربوا بني إسرائيل وتغلبوا على جدعون وشاوول حتى أمتدت سلطتهم إلى جوار نابلس ولم يكن لهذه القبائل حكومات منظمة أو إدارات مرتبة بل كانوا أشبه شئ بقبائل جنوبي فلسطين وشرقي الأردن مثل الترابين والتياها والعزازمة والجبارات والعدوان وبني صحر والحويطات وغيرهم.

فكانت كل قبيلة تلتف حول شيخها وهو الحاكم والقاضي والقائد وقد عنوا بأمر الزراعة وتربية الماشية وشن الغارة والسلب والنهب ولم يكن لأحد سلطان عليهم ولا دين لهم يرجعون إليه فالقوي يأكل الضعيف ومن شعر لعجزه وآنس في خصمه القوة أضطر أن يتخذ له حليفاً ليتقوى به شأن القبائل البدوية في يومنا هذا.

(٥) الأنباط: وهم أمة عربية جرفت بقايا الأدوميينوأسست ملكاً في وادي موسى وقد غزاهم إنطيوخوس سنة ١٣٢ ق.م فإرتدّ مخذولاً ولما حاصرهم ديمتريوس أطلّ عليه أحدهم وخاطبهُ قائلاً: "لماذا تقاتلنا ونحن مقيمون في بادية أتحار بوننا لفرارنا من الرق؟ فإنسحب ديمتريوس برجاله وشيدوا حكومة منتظمة بملوك ووزراء وضربوا النقود ومن عظماء ملوكهم الحارث الثالث الذي تغلب على البقاع بسوريا وملك دمشق سنة ٨٥ ق.م وساعد هركانوس المكابي على أخيه أرستو بولس .

والحادث الرابع: وهو حمو هيرودس أنتيباس الذي حاربهُ الحارث لتزوجه على أبنته وكانت أبنة الحارث تحب هيرودس فتزوج عليها زوجة أخيه هيروديا أبنة أرستو بولس فشق ذلك عليها وذهبت إلى بيت أبيها الحارث وذكرت له الخبر فإستشاط غضباً وحارب هيرودس فانتصر عليه إنتصاراً كبيراً ولم ينج هيرودوس منهُ إلا الفرار. وقد أمتدت مملكة الأنباط حتى شملت من الغرب جزيرة سينا ومن الشرق حوران وحدود العراق وبلغت من الجنوب وادي القرى. وظلت بلادها مركزاً تجارياً بين جميع الأقطار المعمورة وكانت

وسائل النقل موفورة لديها كالسكك الحديدية الأوربية والأميركية في القرن العشرين وأخيراً حمل عليهم الأمبراطور تراجان فبدد شملهم وقضى على مدينتهم سنة ١٠٦م فأندمجوا في غيرهم وأصبحوا أثراً بعد عين. ومن أعظم مدنهم بطرا وبصرى وأذرع وعمان وجرش والكرك والشوك وأيله والحجر وصلخد ومادبا ودمشق .

وعدد ملوكهم ١٨ منهم عبادة الأول، عبادة الثاني ومالك والملكة خلد، الملكة شقيلة، ريبال، الملكة جميلة، وهذا مما يثبت أنهُ كان للمرأة في العصور الأولى مثلما كان للرجل من الحقوق والواجبات.

# الفصل الثاني

## اليهود في فلسطين

### (٦) الدور القبائلي – أو دور البداوة:

اليهود قبيلة سامية هاجرت من العراق "أورالكلدانيين" سنة ٢٠٠٠ ق.م برئاسة إبرام الذي صار نبياً وتسمى بعدئذ ابراهيم. ساروا في الطريق التي يسلكها اليوم المسافرون بين العراق وسوريا شمالي نهر الفرات حتى وصلوا شمال سوريا ثم انعطفوا إلى الجنوب حتى أنتهوا إلى أرض كنعان "فلسطين" وكان ابراهيم يرتاد البقاع الخصبةليرعى ماشيته وقد ورد ذكره كثيراً في الكتاب المقدس وقدّم أبنهُ إسحق ذبيحة – على رأي التوراة وعلماء المذهب الحنفي – على جبل موريا مكان الحرم الشريف الآن .

أما مدينة حبرون فقد أهمل أسمها القديم وسميت بالخليل نسبة إلى إبراهيم الذي دعي خليل ا لله لأنهُ سكن هناك وأشترى مغارة المكفيلة (حرم الخليل) وفي الجنوب الغربي من المدينة قرب قرية الظاهرية واد كبير ومرعي واسع يقال له "وادي ابراهيم" يزعمون أنهُ كان يرعى مواشيه فيه ولا يزال حتى الآن وقفاً تنفق غلته على وظائف الحرم الخليلي .

ولد لإبراهيم أبنان إسماعيل من جاريته هاجر وإسحق من زوجته سارة التي كانت من قومه العراقيين فولد لإسحق يعقوب الذي دعي بعدئذ إسرائيل

وأصبح اليهود ينتسبون إليه ويعتقدون أنهم تحدروا من صلبه .

خلف يعقوب ١٢ غلاماً فاضطرهم مجاعات فلسطين المتوالية لإنتجاع مصر ملتجئين إلى حوض نيلها الخصب حيث إستعبدهم هناك الفراعنة غير أن النقوش والألواح المصرية أغفلت خبر الإسرائيليين ولم تذكر عنهم شيئاً كما أن كثيراً من نقدة التاريخ أغفلوا ذلك أيضاً. وأنكروا ذهاب بني إسرائيل إلى مصر ولذلك يجمل بنا ألا نتسرع في الحكم بل ننتظر ما سيكتشف في مصر وسورية بالحفريات والآثار عليها تهدينا إلى معرفة الحقيقة والصواب .

ظل الإسرائيليون مشرّدين إلى أن نبغ فمنهم موسى فأرسله ا لله نبياً إلى قومه فأنقذهم من غربتهم وعاد بهم إلى أرض كنعان عن طريق الجنوب الشرقي .

كان موسى نبياً ورجلاً عالماً بل مشّرع اليهود الكبير ومصلح عقائدهم وإليه تنسب الوصايا العشر التي هي مصدر الأخلاق ونواة الأديان وأنا نثبتها ههنا وان كانت حفريات العراق الأخيرة تدل على أن الشريعة اليهودية وأكثر النواميس العبرانية مقتبسة من الشرائع الحمورابية لكونها أقدم من موسى وها هي الوصايا المذكورة:

(١) لا يكن آلهة أخرى أمامي.

(٢) لا تصنع تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما .. إلخ.

(٣) لا تنطق بإسم الرب ألهك باطلاً.

(٤) أذكر يوم السبت أي أعمل ستة أيام واسترح اليوم السابع.

(٥) أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض.

(٦) لا تقتل.

(٧) لا تزن.

(٨) لا تسرق.

(٩) لا تشهد على قريبك شهادة زور.

(١٠) لا تشته بيت قريبك ولا شيئاً مما له.

ويظهر من الوصية الأولى أن اليهود أسبق شعوب فلسطين التوحيد وأن موسى أول من قال "لا إله إلا ا لله" بخلاف غيرهم من الشعوب العربية والبابلية والمصرية الذين أتخذوا من دون ا لله آلهة كثيرة ونعتها كل فريق بما يناسب أقليمه وبيئته.

وإذا سلمنا بنص التوراة وأقوال المؤرخ الشهير يوسيفوس نجد أن قائد بني إسرائيل الذي فتح فلسطين كان يشوع بن نون وهو الذي عبر بجيشه وأحتل مدينة أريحا من الكنعانيين. ولكن لا يذهل القارئ ولا يتوهم أن جيش اليهود كان منظماً مدرباً كالفيالق العصرية بل كان أشبه بقبائل ألحّ عليها القحط وخافت عدواً ففزعت إلى الرحيل وأمت أقليماً آخر تتلمس فيه الحياة لتنقذ نفسها من براثن الجوع والهلاك. ولذلك كانت كل قبيلة من اليهود وقتئذ خاضعة إلى أميرها منقادة إلى زعيمها على أنهم كانوا كثيراً من الأحيان

يتمردون على مرشديهم وقوادهم ويتذمرون منهم لما يرونه من وعودهم الخلابة وهذا مما يدل على أن الطبائع البدوية لا تخضع لأحد إلا مكرهة مرغمة.

نعم احتل اليهود فلسطين بحد السيف وبقسوة شديدة ولكن ذلك الإحتلال لم يكن منظماً ولم يستطيعوا أن يبيدوا جميع أعدائهم إذ أن الفلسطينيين ما أنفكوا عن مقاومة اليهود حتى أواخر أيامهم وقد أزعجتهم قبائل المديانيين (شعب عربي ورد ذكرهم في القرآن حيث يقول" وإلى مدين أخاهم شعيباً") وضيقت عليهم مذاهبم. فيروى عن شيخ يهودي أسمه جدعون أنه كان يدرس قمحه في المعصرة ليخفيه عن أعين المديانيين ولا يأمن من أن يبقيهُ في البيدر. وقد نحت بنو إسرائيل الكهوف والمغاور وبنوا الحصون أتقاء من شرهم وتخلصاً من غاراتهم ومع هذا فلم يظفروا بأمنيتهم إذ أن المديانيين والعمالقة وأهل المشرق كانوا كلما حان وقت الحصاد ينهبون زرعهم ويأكلون ثمارهم .

وقد شدد زعيم الإسرائيليين جدعون في تحريم المديانيين وفقاً للشريعة اليهودية فلم ينجح وظل اليهود محتكين بهم وتزوجوا بناتهم وتركوا يهوه إلا هم وعبدوا آلهة البلاد وأصنامها فضعفت بذلك الرابطة اليهودية وأنحلت العصبة القومية وظلوا قبائل متفرقة فعجزوا عن إبادة الخيران والسكان مع محاولتهم ذلك حتى أنهم جبنوا عن رد هجمات القبائل البدوية التي يمكننا أن نشبهها للقراء بالغارات التي تحدث شرقي الأردن ولا باعث لها إلا أخذ الثار

أو حب الغزو والتغلب .

(٧) عصر القضاة:

كان بنو إسرائيل كلما أنتابتهم الصدمات ينبت فيهم رجال عظام "القضاة" فكأن الشدائد كانت محكاً لهم تميز منهم الخبيث من الطيب وتظهر من بينهم معدن الرجل العظيم فينتخب قاضياً لسبط ثم يجتمع عليه بعض شيوخ الأسباط فيولونه أمرهم وتبقى الإدارة الداخلية لهم وحكم القاضى ينفذ في الجميع ولم يكن هذا المنصب وراثياً بل كان منحة تتارى في أحرازها همم الأبطال وربما تعددت القضاة في آن واحد فيجتمعون ويحاربون أعداءهم. ودامت مدة حكمهم من سنة ١٥٩٥ ق.م. – سنة ١٤٢٠ ق.م. وتميماً للفائدة نذكر هنا بعض مشاهيرهم.

( أ ) جدعون: وهو من قرية عفرة وربما كانت طيبة بني سالم وتبعد عن رام الله ١٢ كيلوا متراً لجهة الشرق الشمالي وقد حارب المديانيين وأراح قومه من شرهم (سفر القضاة ص ٦ : ٨،٧) وحاول أن يجمع كلمة اليهود تحت لواء سلطته إلا أن عراقتهم في البداوة وفقد شعور الاتحاد والتضامن من نفوسهم جعل ذلك عليه مستحيلاً .

(ب) شمشون : وهو من قرية صرعا الحد الفاصل بين السهل والجبل وهي من بلاد الخليل "العرقوب" واقعة بين القدس والرملة ويمربها الخط الحديدي. وكان شمشون جباراً ذا بأس وقوة وله مواقف مشهورة في محاربته الفلسطينيين الذين كانوا أخصاماً الداء لقومه اليهود (سفر القضاة ص١٣) وينسبون سبب

قوته إلى استرسال شعره فإذا طال قوي وأن قصر ضعف ويقال أنه نزل يوماً إلى أشقلون "عسقلان" وقتل ثلاثين رجلاً فلسطينياً وأخيراً أسره الفلسطينيون ومات في غزة كما ذكرنا.

(ج) صموئيل: ولد في قرية الرامة "الرام" التي تبعد ٩ كيلو مترات عن القدس لجهة الشمال الغربي وكان كاهناً تولى القضاء سنة ١١٤١ ق.م. على كل أسباط بني إسرائيل وبقي قاضياً زمناً طويلاً وأشتهر بعدله واصالة رأيه وإصابة أحكامه وإخلاصه وأمانته وغيرته علىمصلحة أمته وهو آخر القضاة وأول من اجتمعت عليه كلمتهم ثم أوحي إليه بالنبوة. وبعد أن مضى عليهم ٤٠٠–٥٠٠ سنة أدركوا أضرار التفرقة وعرفوا منافع الوحدة والتضامن فاقتبسوا من جيرانهم وقلدوهم في ادارتهم ومالوا إلى الحضارة ونسوا البداوة فاتحدت أميالهم وأتفقوا على أن يقيموا منهم ملكا فطلبوا إلى النبي صموئيل أن يختاره لهم فمسح "توج" شاوول وكان يؤنبهُ إذا حاد عن سنة ا لله وشريعته لأن رئيس السلطة الروحية مسيطر على رئيس الحكومة الزمنية .

(د) دبوره: كثيراً ما قامت النساء بأعمال خطيرة فظلمهن المؤرخون وغضوا من شهرتهن ولكنا نذكر بعض من أشتهر منهم فنقول: كانت دبورة فتاة من سبط إفرايم ومن سكان قرية عطارة عند بناء المعلوف (بين القدس ورام ا لله) فكانت تجلس تحت نخلة وتقضي لشعبها ثم صارت نبية وقادت الجيوش لما جبن باراق اليهودي عن محاربة سيسرا الكنعاني فجندت عشرة آلاف مقاتل ونهدت بهم إلى جبل طابور شرقي مرج ابن عامر وحاربت الكنعانيين

وكسرت جيشهم وبدتت شملهم ولقد حجبت شهرتها أسم زوجها لفيدوت حتى أصبح يعرف بها وينسب إليها. أن عمل دبوره هذا لا يقتل عن عمر بواديسيا (Boadicia) البريطانية التي حرضت قومها ضد الإحتلال الروماني بل يشبه عمل جان دارك الفرنسية التي أخرجت الإنكليز من فرنسا ويماثل مجازفة زنوبيا العربية ملكة تدمر التي قاومت سلطة الرومان واستماتت في حماية بلادها والذود عن ملكها ونظير هؤلاء كثير في النهضة الإسلامية فعائشة أم المؤمنين قادت جيشاً عرموماً وحاربت به علياً في العراق "وقعة الجمل" والفارعة أخت الوليد الشاري وغزالة زوجة شبيب الخارجي واخت ضرار .

(٨) اليهود كأمة:

لما دخل بنو إسرائيل البلاد كانوا فرقاً وأحزاباً لا رابطة تجمعهم ولا عصبية توحدهم بل كانوا منقسمين إلى أثني عشر سبطاً "قبيلة" كل سبط يستمد قوته من نفسه فكان يهددهم أعداؤهم الكنعانيون ويبطش بهم الفلسطينيون ويذلهم المديانيون إلى أن علموا وتحققوا أن لا خلاص لهم إلا إذا اتحدوا وأشتركوا جميعهم في الدفاع عن كيانهم وأن لم يفعلوا آل أمرهم إلى الفناء والدمار .

هذه حالة طبيعية في الأمم متى رأت كيانها الإجتماعى مهدَّداً تتحد كلمتها لدفع الضرر العام الذي يشمل جميع أفرادها فإذا زال السبب العامل رجعوا إلى شيمتهم الأولى. مرَّ على بني إسرائيل ٥٠٠ عام والدهر يلقي عليهم عظاته ويعلمهم أن لا قيمة للشعب المتخاذل أمام الجمع المتماسك مجبور على

أن يتطور بحسب زمانه فيكثر في زمن كانت فيه الغلبة للكاثر ويتعلم في عصر سادت فيه العلماء ويجمع المال في قرن حظي فيه الأغنياء ففقهوا هذه العظة واتفقوا لأول مرة وطلبوا إلى النبي صموئيل أن يختار لهم ملكاً فمسح عليهم شاوول* سنة ١٠٩٥ أميراً عاماً على جميع إسرائيل وبقي لكل سبط أميرخاص يحكم شعبه خاضعاً للسلطة العليا .

( أ ) شاوول: كان أول ملوك الأمة اليهودية ولكنه لم يتخذ مركزاً ولم يختط عاصمة لأن حياته كانت عسكرية وحلقات حروب متصلاً بعضها ببعض فلم تمنحه الأعداء فرصة لتكوين أمته وأحداث لوازمها فكان لا يفرغ من جهة إلا انصرف إلى أخرى ولا يصدر عن غزو قوم إلا غزا آخرين. فحارب العمونيين واستأصلهم ثم قاتل العمالقة والموآبيين والأدوميين وخضد شوكتهم وفلّ حدّهم. أما الفلسطينيون فكانوا خصومه الألداء الذين قاوموه وجاوزوا حدودهم الساحلية وتوغلوا في البلاد العبرانية حتى قرية مخماس الواقعة شمال القدس الشرقي والحوا على العبرانيين فهزموا شاوول وجيشه في مرج إبن عامر فقتل نفسه خوف أن يأسره إخصامه الناقمون عليه. وقد دلت الحفريات الأخيرة في تل الفول أن شاول لم يحكم إلا جزءًا صغيراً من فلسطين .

(ب) داود: ولد في بيت لحكم وكان له عدة أخوة ثم رعى الغنم في حداثته وهي مهنة الأنبياء. فإبراهيم وموسى ومحمد (صلوات ا لله وسلامه عليهم)

---

* كان شاوول من أصغر أسباطهم وأحد أسرهم وأنما أجمعوا عليه لما كان فيه من الوسامة والجسامه ولأنه كان يفرع القوم طولاً واشتهر بالبسالة والأقدام .

رعوا الغنم وأطلق هذا اللقب الجميل "الراعى الصالح" على السيد المسيح. فكأن ا لله يجرب الإنسان برعاية الغنم قبل إرساله نبياً فإن رآه رؤوفاً أميناً أرسله إلى البشر ولا ريب أن كل راع يحتاج إلى ثقة رعيته التي تطالبه بالإخلاص لها. فإن لم تتوفر فيه هذه الشروط نزعوا منه ثقتهم فعاد بالخسران المبين.

كان داود مخلصاً لرعيته فقتل دباً وأسداً على تلال بيت لحم ذباً عن قطيعه. وقتل جليات "طالوت" الجتي زعيم الفلسطينيين دفاعاً عن قومه. وفي إبان فتوته نال ثقة شعبه فكان حاجب الملك "ياوره" وبعد موت شاوول انتخب ملكاً على سبط يهوذا سنة١٠٥٥ ق.م. وحاربه إيشبوثث بن شاوول مع الأسباط العشرة الذين لما أخفقوا في مبتغاهم انتقضوا عليه وقطعوا رأسه وقدموه إلى داود. وبعد سبع سنين ونصف من حكمه توجّ ملكاً على الأسباط كافة وظلت عاصمته الخليل حتى أنتزع القدس عنوة من اليبوسيين سنة ١٠٤٩ ق.م. وجعلها مقر مملكته وقضى مدة حياته في الحرب والكفاح يناضل عن أمته ويصد غارات الغزاة ويسكن القلاقل الداخلية والفتوق العائليةلأن المفسدين أغروا أبنهُ بشالوم وأطعموه في الملك حتى خرج على والده وحار به فلاقى جزاء عمله ومات غير مأسوف عليه إلا من أبيه الذي رثاه بشعره الرقيق ونغماته الموسيقية المشهور. ويقال أن قبر داود على جبل صهيون في المحل الذي يسمى "النبى داود" وحارة "الدواهدة" مجاورة لضريحه الشريف. وبعد وفاته مسح أبنه سليمان ملكاً على جميع أسباط بني إسرائيل.

(ج) سليمان : أن كلمة سليمان مشتقة من سلم ومعناها باللغة الكنعانية "المسالم" ضد المعادي. وبالفعل فإن السلام والأمن سادا طول حياته ومدة ملكه لأن أباه داود كفاه الأعداء بفوزه عليهم وذلل له الصعاب فأسلمه الملك سنة ١٠١٥ هادئاً ساكناً فقام بأعبائه وحول نظره لتوسيع حدود مملكته وبناء مدنيتها فتجاوزت ما وراء فلسطين. ويقول كتاب اليهود أن مملكة سليمان أمتدت "من الفرات حتى حدود مصر" . فضخمت دولته وعظم شأنه وعقد معاهدات سلمية مع جيرانه ومن حوله من الأمم .

فإذا قابلنا هذه الحالة بحالتهم في عهد جدعون لما كان بنو إسرائيل لا يأمنون على بياردهم وكرومهم من غارة أعدائهم عرفنا فائدة الاتحاد والتآزر.

زهت أيام سليمان وأزهرت حضارتها فكثرت الأموال المقنطرة في خزائنه من الجزية المؤداة من خصومه والضرائب التي أثقلت كاهل أمته فانغمس في البذخ والترف فنقمت عليه رعيته هذا العمل ساخطة لتلك الشدة التي كانت من أكبر العوامل الأساسية في انقسامهم إلى مملكتين.

لا ريب أن من أعظم الأسس الأقتصادية لإنماء الثروة هو الأمن الداخلي فإذا أستتب أمنت الناس وتنافسوا في أنتاجها وجدُّوا في أحداثها ومن تتبع عصر سليمان عرف أن البلاد كانت آمنة مطمئنة ولذلك كثرت الأغنام والمواشي والحجارة الكريمة والرياش الفاخرة والعاج الثمين ولو لم يكن الإنسان أميناً لما استكثر من ملذات الحياة وطيباتها.

أرسل الله سليمان نبياً حكيماً وهـذه قصـة تـبرهن علـى حسـن فراسـته وفطنته: سكنت امرأتان في بيت وولدتا في يـوم واحـد فـاضطجعت أحداهمـا على أبنها ليلاً وأماتتهُ فقامت مسرعة وبدلت طفلها الميت بطفل رفيقتهـا الحـي ولما استيقظت أم الولد وجـدت الطفـل الـذي بجانبهـا ميتـاً ولكنـهُ ليـس بابنهـا فغضبت وخاصمت رفيقتها عند سليمان وبعد أن سمع قصص كل منهمـا فكـر قليلاً ثم قال إئتوني بسيف وأمر بشـطر الولـد الحـي إلى قسـمين وإعطـاء كـل أمرأة نصفاً فتحرَّك حنان أمه وقالت أعطوه لها فإني سامحتها به فأجاب سـليمان أعطوا الولد الحي لها فأنها أُمه وأحق به مـن غيرهـا. ويـروى أن بلقيـس ملكـة اليمن قطعـت الفيـافي والصحـراء سـنة ٩٢٢ ق.م. رغبـة في مشـاهدة حكمـة سليـمان واشتياقاً لرؤية عدله .

وسـنة ١٠١٤ ق.م. تـزوج إبنـة فرعـون آخـر ملـوك الأسـرة الحاديـة والعشرين من الدول المصرية وأعطاها والدها مدينـة جـازر "أبـو شوشـة" بائنـة العرس (دوطة) .

ومن أجل أعماله بناء الهيكل الذي صار مهبط آمال الأمة اليهودية وهـو شبيه بالكعبة عند عرب الجاهلية من حيـث تكوينـه الأمـة اليهوديـة وتوحيدهـا فكما ربطت الكعبة العرب بقريش لكونهـا قبلتهـم كذلـك شـأن الهيكـل عنـد العبرانيين.

فوجود أثر مقدس بين ظهراني أمة يمهد لها الاتحاد وعدم التفرقـة. ولـولا المعاهدة السـلمية الـتي عقـدت بـين اليهـود والفنيقيـين لمـا تم بنـاء الهيكـل لأن

الفنيقيين هم الذين نقلوا إليه الأخشاب من جبل لبنان وساعدوهم في إتقان البناء والنقش والهندسة لأنهم وقتئذ لم يكونوا يحسنون من الصنائع النفيسة شيئاً وقد تم بناء الهيكل في سبع سنوات ويرجح أن أحجاره قطعت من المحجر المسمى مغارة سليمان الآن وهي واقعة تحت المدينة إلى الشرق من باب العمود (راجع تاريخ القدس) .

ومن آثار سليمان الباقية إصطبله الكائن تحت المسجد الأقصى وبرك سليمان الواقعة جنوب بيت لحم وبعض آثار أخرى لا قيمة لها مثل أحجار المبكى فكان هذا العصر خير أيام بني إسرائيل بل واسطة عقد ماضيهم المؤلف من ثلاث خرزات فقط الأولى شاوول والثانية داود والثالثة سليمان وبعد أنتظام الخرزة الأخيرة في القلادة أنقطع السمط وتفرقت الكلمة فأنقسمت المملكة وانحدروا في هاوية الإنحطاط .

## (٩) إنقسام المملكة وخرابها

التاريخ يعيد نفسه ولو أيقظتنا مواعظه لما لدغنا من حجر مرتين فأنه ألقى علينا دروساً عملية واثبت لنا مراراً "أن القوة بالاتحاد والضعف مبدأه الانقسام" ولكننا ما زلنا نتغافل عن كل هذا ونؤول الحوادث كما نريد نحن لا كما تريد السنن الطبيعية وربما يستغرب القارئ كيف انقسمت فلسطين إلى مملكتين مع أنها جميعها أصغر وأقل من أن تكون مملكة واحدة ولكن يزول عجبه إذا عرف أن سبطي يهوذا وبنيامين عاشا بعيدين عن أسباط إسرائيل العشرة فاختلفت بينهم مذاهبهم واشتجرت بينهم الضغائن وكان كلما بدرت

غنيمة سيما عند تعيين الملوك ينضم يهوذا إلى بنيامين ويختارون ملوكاً من أنفسهم فتغضب إسرائيل لذلك وقد نفروا من شاوول لأنه كان من سبط بنيامين وخافوا بطش داود فاستسلموا إليه مكرهين وأذعنوا إلى سليمان لأنه كان إدارايا حكيماً فضبط جميع إسرائيل وأخلدوا إلى طاعته وفي أواخر أيامه مقتوا حكمهُ فقسا عليهم وحاول قتِل يربعام بن ناباط ففر إلى مصر معتصماً بالملك شيشق وتربص حتى ولي الأمر رحبعام الذي كان غراً جهولاً وفظاً قاسياً خشناً فعاشر الفتيان ونبذ العقلاء المدربين ونكب عن طريق الحق فسألوه تخفيف ما عليهم من الضرائب والاقلاع عن تبذير الأموال فجابهم قائلاً أنهُ سيعاملهم بأشد مما عاملهم به أبوه واستمر على المغالظة والجفاء والشدة إلى أن أكبروا عمله وجاهروا بعدائه فسار شيشق من مصر ونزل على القدس فأفتتحها وأختلس أواني الهيكل الذهبية وتوج دخيله يربعام ومن ذلك الوقت انقسمت البلاد إلى مملكتين صغيرتين الأولى "إسرائيل" وهي الواقعة في الشمال من القدس والثانية يهوذا وهي الواقعة بين القدس وبئر السبع .

## (١٠) مملكة إسرائيل من سنة ٩٧٥ إلى سنة ٧٢٢ ق.م.

انشطرت البلاد شطرين فكان أول ملوك القسم الشمالي يربعام بن ناباط الذي كبر عليه أن تخرج القدس من مملكته وهي مهبط آمال اليهود وقبلتهم التي يوجب عليهم دينهم أن يحجوا إليها ثلاث مرات في السنة وخاف من الحجاج إن هم أبصروا تلك الآثار الفخيمة وأبهة الملك وعظمته أن تنصرف قلوبهم عنه ويضعف إيمانهم به لذلك عزم على بناء مذبح في بيت إيل لإنه محل

مقدس ليرتاح من هذه الأحلام المزعجة فيأمن على مركزه ويكـون قـد أرضـى بذلك قومه والهاهم عن زيارة القدس وأشغلهم عن التعلـق ببـلاد عـدوه وهـذا العمل يشبهُ ما جرى لعبد الملك بن مروان فأنهُ بنى الحرم الشـريف أثنـاء ثـورة عبدا لله بن الزبير ليستعيض به مؤقتاً عن الكعبة المكرمة وهكذا رجال السياسـة وأربابها إذا ضاقت بهـم الأمـور بعثـوا عاطفـة الديـن وهزوهـا لتنفيـذ مـآربهم وبلوغ أمنيتهم. أن يربعام بن ناباط هو أول من نقل عبـادة الأصنـام والتمـاثيل من مصر ووضعها في الهيكل لإنه انتحل عبادتها أثناء إقامته بينهم فهو مؤسـس عبادة الأوثان وباني حكومة إسرائيل التي تداولها ١٩ ملكاً في مدة ٢٥٤ سـنة ولكنهم لم يكونوا من سلالة واحدة بل من أُسر شتى وكثيراً ما كان يخرج على الملك قائد أو طامع فيختلس الملك منهُ ويغتصب عرشـه ويسـتبد بالأمـة وهـذا منتهى الفوضى والخـلاف الـذي بـه تنقـرض الأمـم فـإذا قابلنـا نظـام الحكومـة الإسـرائيلية بغيرهـا مـن الحكومـات جـاز لنـا أن نقـول أنـه قـام في المملكـة الإسرائيلية تسع حكومات لأن كل ملكين كانا من أسـرة واحـدة فمتـى كـان ينقرض بيت الملك الأول انتقل إلى أسرة أُخرى فيكون معدل حكم كـل ملـك منهم ثلاث عشرة سنة.

وأي عمل أدل على أنهم لا يصلحون لـلإدارة والسياسـة مـن كونهـم لم يجمعوا على رأي قط بل قضوا حياتهم في الانقسامات والقلاقل وفساد النظام. وكانت عاصمـة إسـرائيل طلـوزه ثـم نقلوهـا إلى شـكيم فكـانوا يصيفـون بهـا ويشتون في يزرعيـل "زرعـين" فلمـا ولي الملـك عمـري أسـس مدينـة السـامرة "سبسطية" وجعلها العاصمة وهي الآن بلدة حقيرة شمالي مدينة نابلس .

لم يكتف اليهود بالانقسام فقط بل طفقوا يناوئون بعضهم بعضاً فمملكة الشمال كانت تجرد جنودها وتهاجم مملكة الجنوب وقد وصلت مرة إلى الرامة "الرام" وحصرت حصنها ولقد بلغ من حقد إسرائيل أن حالفت مملكة آرام في دمشق على محاربة يهوذا ومما هو جدير بالذكر أن إسرائيل تركوا عبادة ا لله وصبوا إلى عبادة الأوثان المصرية وأصنام أهل البلاد سيما لما اقترن آخاب بالأميرة الفينيقية إيزابل بنت الملك إيثبعل الصيدوني فأنها شجعت الناس على عبادة آلهة قومها كبعل وعشتروت فعبدوها واستبدلوا الذي هو خير بالذي هو أدنى إلى أن تلاشت مملكتهم لما عجزت عن رد سيل المملكة الأشورية الجارف التي ابتلعتها لقمة سائغة وهدمت عاصمتها وأسرت رجالها ونقلتهم إلى نينوى فانقرضت مملكتهم سنة ٧٢١ ق.م. بعد أن حكمت قرنين ونصف .

## (١١) السمرة:

قدماً كان أسلوب الاستعمار يختلف عما هو اليوم فكان الملوك إذا غضبوا من أمة حاربوها فإن ظفروا بها يسبون زعماءها وأغنياءها ومفكريها إلى بلادهم ويستبدلونهم بأبناء مملكتهم حتى لا يمضي نصف قرن إلا اندمج كل من سبي بمن حولهم فيعتنقون لغتهم ودينهم وعادتهم ويصبحون جزءاً منهم ويكون قد ثبت وأفرع من أرسلوهم فتصبح البلاد بلادهم والأهالي شعبهم وهكذا فعل شلمناصر بمملكة إسرائيل فأنه نقل سكانها إلى العراق وأرسل السمرة مكانهم وحذا حذوه أسرحدّون فلو إنهما نجحا في خطتهما لصارت فلسطين بقعة من العراق. كان السمرة يدعون كوثيين أو كوفيين

لأنهم أتوا من الكويت كما روى ذلك الأب إنسطاس الكرملي في المشرق السنة السابعة العدد العاشر وكانت ديانتهم الوثنية ولما سكنوا مدينة السامرة أنتسبوا إليها فصاروا سامريين وكان عددهم غير معلوم إلا أنهم يقدرون بعشرين ألف نفس.

هبطوا البلاد ولم يكن فيها سوى الفقراء فأسسوا أمة قوية وكتلة متينة وقد ثقل عليهم عودة بني إسرائيل فوشوا بهم إلى ملوك الفرس وعارض رئيسهم سنبلط نحميا عندما حاول بناء سور أورشليم .

وقد حاربوا فسباسيانوس الروماني فأباد أكثرهم. وبعد ما رجع اليهود من السبي وشرعوا في بناء القدس وترميم الهيكل قاومهم السمرة مقاومة عيفة. وأشتدت العداوة بين اليهود والسمرة حتى أن اليهودي كان إذا أراد السفر من الناصرة إلى القدس ذهب إلى الغور ومنه إلى القدس كي يتجنب بلاد السمرة الذين أصبحوا نجسين في نظر اليهود وتظهر هذه العداوة من حديث المسيح مع المرأة السامرية على بئر يعقوب .

وأما السمرة اليوم فلا يزيد عددهم عن مئة نفس يعيشون في مدينة نابلس ولا يخالطون أحداً. وهذا أكبر عامل في إنقراضهم لأنهم يقلون كل سنة عن العدد السابق. ويقوم السمرة كل سنة بتقدمة ذبيحة الفصح على جبل جرزيم. ويدعون إنهم هم شعب الله الخاص لا اليهود. وديانتهم وكتبهم المقدسة تشبهُ ديانة اليهود وكتبهم إلا أنها تختلف في نقط معدودات .

## (١٢) مملكة يهوذا من سنة ٩٧٥ ق.م. – سنة٥٨٦ ق.م.

كانت مملكة يهوذا مؤلفة من سبطى يهوذا وبنيامين ولكنهم كانوا أبطالاً أشداء فحافظوا على إستقلالهم أكثر من إسرائيل بمائة وخمسين سنة وإذا تتبعنا دقائق التاريخ لنتحرى عن أسباب إنقراض إسرائيل قبل يهوذا نجدها كثيرة منها:

١ – تقول التوراة أن إسرائيل ترك عبادة الله وأنصرف إلى عبادة الأوثان فعجل في هلاكهم .

٢ – من يدرس التوراة يجد أن سبط يهوذا عرف بالقوة وأشتهرت مشاته لوعورة بلاده كما أمتازت إسرائيل بفرسانها لسهولة أراضيها ووقتئذ كان على المشاة المعوَّل .

٣ – الموقع الطبيعي: لو قابلنا القسم الشمالي بالجنوبي نرى الثاني أحصن موقعاً وأعسر مسلكاً وأمتن الدفاع فالوصول إلى القدس من الشرق والغرب أو من الجنوب أو الشمال أصعب بكثير من مجابهة السامرة المفتحة الأبواب والتي يكتنفها من الغرب سهل طول كرم ومن الشمال مرج إبن عامر فكأنها كانت محطة سهلة في طريق الحكومات المصرية والعراقية في غدوها ورواحها على أن القدس كانت بمعزل ومأمن من كل ذلك فلا يأتيها إلا من يتقصدها .

٤ – تأثير العوامل الإجتماعية والأدبية: امتزجت حكومة السامرة بالأجانب وأقتبست عاداتهم ومالت إلى الحضارة فتفرقت وحدتهم وتهدمت

جامعتهم وأضمحلت مملكتهم وتلاشت قوميتهم .

٥- إدعاء الكهنة أن الحضارة كفر فسمموا أفكار العامة وهاجروا إلى مملكة يهوذا وتبعهم خلق كثير فقويت بهم يهوذا وضعفت إسرائيل .

٦- طمع الزعماء في العرش وتهجمهم على اغتصابه حتى أصبح سلعة يتناولها القوي ويأخذها القدير فينخلع الضعيف ويحرم الجبان ولا حاجة إلى الإسهاب في ذكر هذه المملكة لئلا يملَّ المطالع ومن أراد التفصيل فليراجع التوراة "سفري الملوك الأول والثاني" فأنهما أتم وأوسع ما ورد في هذا الباب. كان أول ملوكهم رحبعام بن سليمان وظل بيت الملك يتحدّر من هذه الأسرة حتى إنقراض المملكة فتولى منهُ عشرون ملكاً. وإنما تقادت يهوذا لهذه الأسرة لكونهم ألفوا الحكم وانتخب منها ثلاثة ملوك متتابعة قبل إنقسامهم فالإعتراف بإبن ملك مشهور أسهل من الخضوع إلى ملك جديد. قضت مملكة يهوذا معظم أيامها في الحروب والقتال لأن كل جيرانها عالنوها وناصبوها العداء فلم تك لتكترث بهم بل أنها كانت تخشى حكومتي مصر وبابل المتناظرتين والطامعتين في إخضاع سكان فلسطين الذين لم يكن لهم مناص من أتباع إحدى الدوليتن لأهمية موقعهم الطبيعي ولكون الحكومة التي كانت تسيطر عليهم كانت تهدد الأخرى التي لا تقر عينها إلا بإستخلاصها من المتغلبين فكان سكان فلسطين إذا انحازوا إلى مصر تغضب عليهم بابل وتغزوهم فتقهرهم وتخضعهم إليها فتحقد عليهم مصر وتسومهم سوء العذاب وهكذا ظلوا ضعفاء

لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم فإذا إلتجأوا إلى دولة سخطت عليهم الآخرى وانتقمت منهم. روي أن الملك آحاز أستعان بتغلث فلصر ملك أشور على قريبه وجاره ملك السامرة إنتقاماً منه لكونه اتحد مع رامين ملك دمشق لمحاربته فأعانه تغلث فلصر وخرّب دمشق ثم ضرب الجزية على مملكتي يهوذا وإسرائيل. فندم أحاز وقلب سياسته وعصى ملوك أشور بالمصريين فغضب سنحاريب وساق جيشاً جراراً فحاصر القدس وعسكر بقرب بركة ماملا حتى أذعنوا لحكمه وأعطوا الجزية ولكنهم لم يفتحوا له المدينة .

أن من تتبع مجرى سياسة يهوذا يجدها تشبه سياسة بعض الدول الحاضرة الضعيفة التي بينهما نرأها اليوم حليفة دولة فإذا هي عدوتها غداً فكأن المصلحة والفائدة هي العامل الأكبر في تقلب هذه الأحوال فإن مملكة يهوذا قد انحازت في عهد صديقا قبيل إنقراضها إلى ملوك مصر والتحقت بهم فلما استعلت بابل على الحكومة المصرية وانتصرت منها سلخت عنها سورية وفلسطين وضمتها إليها وأتي نبوخذنصر إلى أورشليم ونفى الأشراف وقادة الرأي في المملكة اليهودية إلى العراق آملاً أن يكون ذلك خضوعاً تاماً لا نزاع بعده ولكنه لم يمض بضع سنين حتى انتقض اليهود وقلبوا سياستهم ومالوا إلى مصر فإستشاط نبوخذنصر غضباً من خيانتهم وتلونهم وساق عليهم جيشاً كبيراً فحاصر القدس ١٨ شهراً وأحتل المدينة عنوة وأعلن الحكم العرفي فهرب ملكها صدقيا إلى أريحا ولكنه لم ينج منهم فأسروه ثم أحرقوا وهدموا الهيكل ونهبوا أثاثه وسبا أكثر السكان إلى بابل ولم يتركوا من اليهود إلا

الصعاليك وشذاذ الآفاق فأقام عليهم نبوخذنصر جدلياً حاكماً وأسكنه في المصفاة "قرية النبى صمويل" .

فأصبحت البلاد مستعمرة بابلية تقاسي من الظلم أنواعاً فغلا الحقد في نفوس اليهود وهب رجل يهودي إسمه إسماعيل بطائفة من الأشرار الذين كانوا مهاجرين في بلاد عمون فجاسوا خلال فلسطين وقتلوا الحاكم جدلياًوهربوا إلىمصرخوفاً من هجمات بابل المستقبلة وهنا يمكننا أن نقول أن جد اليهود خرج من العراق فمر بسورية وفلسطين وبادية التيه ثم رجع بذريته إلى وطنهم الأول العراق .

لقد سكن اليهود في فلسطين من ١٤٠٠ق.م. – ٥٨٦ ق.م. أى نحو ثمانية قرون ولكنهم لم يستقلوا مدة إقامتهم إلا وقتاً قصيراً كانوا يختلسونه من ضعف واضطراب القوتين الكبيرتين في دلتي دجلة والنيل ويعلنون إستقلالهم ومع ذلك فلم ينجوا من تحكم مصر وبابل وكانتا تتكلان بهم وتسلبانهم إستقلالهم كلما سنحت الفرصة وقد ظلوا حياتهم خاضعين لجيرانهم فيدفعون الجزية وتنفذ فيهم أوامرهم وكان يكتسحهم من يخالفونه ويحمل ما لديهم من خيرات عائداً بها إلى بلاده. أما السبب الأكبر في انقراض المملكة اليهودية فهو تفرق الكلمة واعتزالهم جيرانهم وعدم امتزاجهم بغيرهم سيما في المعتقدات الدينية التي لم يحافظوا إلا على قشورها فقد عبدوا الأصنام ونسوا الوصايا العشرة وتشددوا في تعصبهم اليهودي واعتقادهم أنهم شعب ا لله الخاص فقط وزد على ذلك إستحكام النفرة بين الأسر التي عملت على انحلال الأمة

وهلاكها وهل ترجى حياة أمة قبل إصلاح أفرادها .

(١٣) بعض أنبياء اليهود في فلسطين:

لقد ورث الإنسان الأخلاق الفاضلة والسجايا الحسنة منذ القدم فسارت معهُ وكان كلما عرض عليها الفساد ودب فيها الشر أهاب بها داع من الله ينادي بالإصلاح فيخوف العاصي بعذاب جهنم ويعد الصالح بالخير العميم فكان الأنبياء في ذلك العصر دعاة الإصلاح ووسطاء بين الله وشعبه بل متشرعوا العزة الالهية ورسلها الذين حفظوا بشرائعهم الأدبية أكثر من القوانين المدنية التي زادت الجناة ولم تصلح منهم شيئاً .

لا ريب أن رجال الدين لعبوا في العصور الأولى أدواراً هامة لما كانت الممالك "ثيوقراطية" وكان الملك هو الكاهن والحاكم والسلطان وما زالوا فصولاً من تلك الرواية المحزنة في عصرنا الذي انتشرت فيه مبادئ العلوم الصحيحة وإنفصل الدين عن السياسة. كان اليهود يسمون النبي رائياً "يرى المستقبل" ويعلم الغيب فيستشيرونه في نتيجة الحرب ويستوضحونه عن حيوان فقد وشخص مرض كما كان يفعل الرومان واليونان مع كهنتهم فهتف أنبياء إسرائيل يبشرون بأنهم شعب الله الخاص وأنهم أفضل البشر كافة فيوبخون من ارتكب الشر ولو كان ملكاً ويحضون على عمل الخير وعبادة الله الواحد الأحد. وقد نجحت دعوتهم فرفعوا قومهم من الحياة الدنيئة إلى الحياة السامية الشريفة وها نحن ندرج أسماء بعضهم .

(١) ناثان: لم يعد من الأنبياء العظام بيد أن له وقفة رهيبة مع الملك داود لما

شغف بأمرأة أوريا الحثي وطمع فيها ففرق بينها وبين زوجها وأرسله إلى الحرب ثم تزوجها فأتاه ناثان ووبخه على شرهه وظلمه فأعترف بذنبه وقد وردت هذه الرواية في التوراة سفر صموئيل الثاني والإصحاح الثاني عشر وأيدها القرآن الكريم سورة "ص" الآية ٢٣-٢٥ .

(٢) إيليا أو إلياس: ولد شرقي الأردن وقضى حياته في نشر تعاليمه داخل تخوم المملكة الشمالية وقد جاهد في محاربة الأوثان وقاوم الملكة إيزابل الفنيقية زوجة آخاب ملك إسرائيل التي حاولت تعميم عبادة الأوثان وابتدعت لليهود ديانة جديدة فأخذ يفسد عليها عملها ويبرهن على الحادها وسخافة آلهتها إلى أن سخطت عليه ففرَّ إلى المملكة الجنوبية واجتاز القدس وإستراح برهة في محل "مار إلياس" الواقع بين القدس وبيت لحم ثم نزل بئر السبع. وقد ورد في التوراة أن ا لله أمره أن يذهب إلى نهر كريت "واد الفلت" وهو محل يكثر فيه النساك وزاهد والدنيا ومن شاء التوسع فليراجع سفر الملوك الأول "ص١٧،١٨،١٩".

(٣) عاموس: أن في سرد حياة هذا الرجل مغزى وعبرة لخاملي الذكر والنفس لأنه ولد في قرية تقوع من بلاد الخليل وإبتدأ حياته برعاية المواشي وكان يقول "لست نبياً ولا إبن نبي بل أنا راع وجاني جميز فأخذني الرب من وراء الضان وقال أذهب وتنبأ لشعبي إسرائيل" فأمتازت تعاليمه بصفتها إجتماعية لأن بني إسرائيل كانوا منهمكين في لذاتهم ورفاهيتهم ومعاقرة الخمور والخلاعة والزنى بل أقترفوا جميع الرذائل والموبقات فذهب إلى بيت أيل

وحذر قومه وأنذرهم بالعقاب إن لم يقلعوا عن المعاصي والشهوات ويرجعوا إلى عبادة ا لله الحق فيكسروا الأصنام ويحطموا التماثيل ومن أعظم صفاته أنه كان يجابه الملوك والأشراف ويؤنبهم ويظهر لهم خطاياهم ويجهر بالحق ومن قوله "بغضت وكرهت أعيادكم، وليجر الحق كالمياه والبر كنهر دائم" هؤلاء بعض أنبياء اليهود الذين تنبأوا في فلسطين ومنهم أشعياء الذي عاش في القدس وشهد حصار سنحاريب لها وكان يحرض قومه ليتكلوا على ا لله دون البابليين ومنهم أرميا الذي ولد في قرية عناتا وهي تبعد خمس كيلو مترات إلى الشمال من القدس وكان يقف على جبل الطور ويرثي أورشليم بأقوال مشجية وقد شاهد جيوش نبوخذ نصر تهدم وتحرق القدس وأسوارها وهيكلها وكان من رأيه أن يحالف اليهود البابليين ويباعدوا المصريين فلم يسمعوا منهُ حتى كان ما كان من إضمحلال الدولة اليهودية. ومن تتبع تاريخ اليهود في جميع أدوارهم الدينية يجد أنهم لم يكونوا راسخي العقيدة في التوحيد لأنه ما غاب عنهم موسى أربعين يوماً حتى عبدوا العجل إله المصريين ولما سكنوا فلسطين جنحت نفوسهم إلى عبادة أصنام الكنعانيين والفينيقيين والمصريين وصاهروهم مع أن دينهم يمنع ذلك. وكانوا يسمحون لنسائهم بعبادة الأوثان في بيوتهم فلو كان أعتقادهم متيناً لتغلبوا على غيرهم ولفنوهم ديانتهم وصبغوهم بصبغتهم كما فعل المسلمون.

# الفصل الثالث

## من نبوخذ نصر إلى بومبي

### (١٤) فلسطين في يد الفرس من سنة ٥٣٩ ق.م. – ٣٣٢ سنة ق.م.

غزا الأشوريون فلسطين وافتتحوها فلما سقطت مملكتهم قام مكانها البابليون الذين سبوا اليهود إلى العراق ولما استوى كورش الكبير على العرض أسس على أنقاض الدولتين مملكة الفرس والحق بها فلسطين وسمح لليهود سنة ٥٣٦ ق. م. بالعودة إلى بلادهم الخربة لأنه طمع في فتح مصر والمغرب وأيقن أنه لا يتحقق له هذا الحلم الجميل إلا أذا أرجع اليهود إلى بلادهم ليكونوا له عوناً يتكئ عليه أو مدخراً يستمد منه ما يلزمه لفتح الأقطار التي ينزع إلى استملاكها. فظل حلمه أضغاثاً حتى قام كمبيز وصدق رؤياه ففتح مصر وضمها إلى سلطنته ولعل السبب الذي حمل لويد جورج وبلفور ليعطيا فلسطين وطناً قومياً إلى اليهود هو عين الغاية التي رمى إليها كورش .

طال العهد بفلسطين وهي تابعة للفرس تدفع لهم الرسوم والضرائب وتسهل لجيوشهم الطريق إلى مصر وتمدهم بالزاد والعلف حتى تم لهم فتح إفريقية وأخضعوا بابل العظيمة ومملكة ليديا في آسيا الصغرى فكأن فلسطين كانت حلقة مفرغة ترتبط بها حلقات أخرى فلما انفصمت تداعت منها كل الحلقات فالتقطها ملوك فارس واستولوا على ممالك الشرق الأدنى في آسيا

وإفريقية ثم نهموا إلى امتلاك أوروبا فحاربوا اليونان في آسيا الصغرى وجزر البحر المتوسط وتغلغلوا في بلادهم. وبعد معارك هائلة سطرتها التواريخ القديمة معجبة بشجاعة اليونان الممتازة في معركتي ماراثون وثرموبيلي غلب الفرس وانقلبوا مخذولين وهؤلاء عظماء ملوكهم الذين حكموا فلسطين .

كورش ٥٥٨ ق.م -٥٢٩ ق.م

كمبيز ٥٢٩ ق.م -٥٢٢ ق.م

داريوس ٥٢٢ ق.م -٤٨٦ ق.م

زركسيس ٤٨٦ ق.م -٤٦٥ ق.م

وقد قام غيرهم من ملوك الفرس ولكنهم لم يحدثوا حدثاً ولم يبرزوا عملاً يستحق الذكر فطوينا أيامهم وأخبارهم .

## (١٥) اليونان في فلسطين ٣٣٢ ق.م -٦٣ ق.م

تعدى ملوك الفرس على البلاد اليونانية فايقظوا همة الفاتح الكبير إسكندر المكدوني والهبوا عزيمته فهجم بجيوشه على آسيا وتشوف إلى إمتلاك الشرق والتغلب عليه فكان بدء تنازع شديد بين الفرس حماة الشرق واليونان أبطال الغرب الذين قوضوا ممالك آسيا الغربية واستولوا على أقطارها وحكموا في أهلها بما لايقاس على ما تقدمه من الفتوحات لأن الحكومات الأشورية والبابلية والمصرية كانت تكتفي بجباية الجزيةّ والخضوع السياسي فقط. أما الحكومة اليونانية فكانت ترمي إلى غاية أسمى وأعظم وهي نشر مدنيتها في

الشرق وتلقيح العالم بالأفكار اليونانية والمبادئ الهلاسية **Hellenism** "هلنزم" .

ولا بأس إذا تجاوزنا حدود فلسطين وذكرنا بإيجاز سيرة الإسكندر منذ نشأته لئلا يكون الكلام مبتوراً فنقول: ولي الملك وهو فتى لم يتجاوز العشرين ربيعاً فساد أثينا ومدن اليونان كافة وهاجم الفرس في ضفة جناق قلعة على نهر غرانيكوس الذي يصب في بحر مرمره فكسرهم وتبعهم إلى شمال سورية قرب خليج إسكندرونه في سهل اسوس وهزمهم شر هزيمة ففر داريوس وترك عائلته وذويه ولكن البطل الإغريقي تربص ولم يتعقب فالة الجيش وأتجه جنوباً إلى بلاد فنيقية ليفتحها ويستعين بسفنها على مدينة صور وكانت آنذاك على جزيرة فطم البحر ووصلها بالبر وبعد حصار دام سبعة شهور فتحها عنوة وإنتقم من أهلها ثم سار جنوباً فسلمت إليه كل البلاد إلاَّ غزة فإن حاميتها العربية قاومتهُ وصدمته ولكنها خضعت أخيراً فنكل بها .

## الإسكندر في القدس

قال المؤرخ يوسيفوس أن الإسكندر ذهب لفتح القدس فقابله رئيس الكهنة على جبل سكوبس فرحب به الإسكندر وطلب إليه أن يسلمه المدينة فرفض معتذراً أن البلاد فارسية وقد أقسم أهلها يمين الطاعة للفرس فلا يسلمون المدينة إلا بأمر من ملكهم فأكرمه الإسكندر وقدَّم هداياه إلى الهيكل فإغتاظ أتباعه من هذا الرفق واللين. ولكن هذه الرواية تفتقر إلى اثبات. أما الأستاذ بورتر فقال أن الإسكندر صعد إلى أورشليم ودخلها بوقار واحترام ولم

يضرّ بأهلها وقد استأنف منها السير إلى مصر ففتحها وخلـد أسمـه ببنـاء مدينـة الإسكندرية ثم كرَّ راجعاً ليجهز على الفرس فالتقى الجيشان في أربيـلا "أربـل" شـرقي دجلـة وجنـوب نينـوى عاصمـة الأشـوريين ففـرق شمـل الفـرس وبـدد جيشهم وهدم مملكتهم وسجلت هذه المعركة الفاصلة خضوع الشرق لليونان. في ثلاث معارك فقط الأولى غربي الأناضول والثانية قرب خليج الإسـكندرونة والثالثـة شمـال العـراق هـدم الإسـكندر مملكـة فـارس وشـاد علـى انقاضهـا إمبراطورية يونانية حديثة شهدت له بالتفوق الفكري والنبوغ العسـكري وأنـه من أعاظم القواد المشهورين مثـل يوليـوس قيصـر وهنيبـال وخـالد ابـن الوليـد وصلاح الدين الأيوبي ونابليون إلا إنه يمتاز عـن غـيره ببعـد نظـره ونزعتـه إلى مزج الشرق بالغرب وتوحيد العائلة البشرية وقد توخـي طرقـاً كثـيرة لتحقيـق أمانيه نذكر هنا أجلها .

(١) الزواج: تزوج الإسكندر بإبنة داريوس وشوق قواده وأجـبر رجـال علـى الاقتران بالشرقيات .

(٢) تعميـم الـروح اليونانيـة: فأنـه أمـر بنشـر شـعرهم وفلسـفتهم وعـاداتهم والبستهم ومسارحهم وفنونهم وألعابهم وآدابهم ولغتهم .

(٣) تجنيد عساكر فارسية وإدخـالهم في جيشـه وصبغهـم بالصبغـة اليونانيـة ممـا أغاظ عساكر مكدونية وحملهم على ترك الجيش ناقمين.

(٤) مبادلة الأشجار والنباتات الشرقية بما يماثلها مـن المزرعـات الغربيـة. وقـد نجحت هذه الخطة التي كانت تصدر من مدينـة الإسـكند ة منهـل العلـم والأدب والشعر وتتوزع على الأقطار.

فانتشرت اللغة اليونانية في الشرق قبل المسيح وبعده حتى أن المتهذبين كانوا يفتخرون بمعرفتها كتابة وتكلماً حتى أن بعض الأناجيل كتب بلغة سقراط وأفلاطون وأرسطو ولم يكتب بالعبرانية .

ورث الرومانيون فلسطين عن اليونان وعجزت لغتهم اللاتينية عن مباراة اللغة اليونانية التي كانت تشبه في ذلك العصر اللغة الفرنسية والإنكليزية في أيامنا هذه. وأن بين أعمال الإسكندر ونابوليون لمشابهة كبرى لأنهما جاهدا في تنشيط العلم وسعيا في فتح الشرق واستعماره وحاولا الامتزاج بأهله والتقرب منهم .

## (١٦) السلوقيون والبطالسة

توفى الإسكندر في بابل سنة ٣٢٣ ق.م وهو في الثالثة والثلاثين من عمره بينما كان ذاهباً لفتح السماء كما زعم فذهب ولم يبق منه إلا شهرته الخالدة وذكره الطيب. فاقتسم قواده الأربعة الإمبراطورية بينهم ولا يهمنا منهم سوى سلوقس حاكم سورية وبطليموس ملك مصر لتناوبهما الحكم في فلسطين. أن في التاريخ عبراً مفيدة ومن لم يستفد من هذه العظات فهو ضعيف خامل ليس بأهل للحياة لأن الدهر سفر عظيم صفحاته الأيام ومواده الحوادث. فإذا استقصينا ماضي الفرد والأمة أو الإقليم نجده سواء تتوالي عليهم أحوال متشابهة وحوادث متماثلة فكأنهم يسيرون حول دائرة إذا إنتهوا من الدورة الأولى إبتدأوا في الأخرى وهكذا دواليك فالذي لا يزرع شيئاً لن يحصد شيئاً ومن فاته عمل فليتعوض من سواه ولكن فلسطين لم تنتبه لهذه الحقيقة وكانت

كرة تتلقفها العراق ومصر وسورية فتهشمها تارة وتحطمها طوراً وإذا فلتت من واحدة خطفتها الأخرى. فلما التحقت بمصر كما كانت في أيام صحوتميس تسامحت معها الحكومة ولم تتعرض لتقاليد الأهلين وأذنت لرئيس الكهنة أن يظل حاكماً دينياً وسياسياً كما كان. وفي هذا العصر ترجمت الكتب المقدسة من اللغة العبرانية إلى اليونانية. فإن بطليموس فيلادلفوس "محب العلم" أخذ سبعين عالماً يهودياً إلى مصر لترجمة التوراة فأحسنوا صنعهم وجاءت طبق الأصل في دقة التعبير وقوة المعنى. ولكن سيطرة مصر على فلسطين لم تدم غير قرنوربع لأن أنطيوخوس الرابع ملك سورية ضمها إلى مملكته سنة ١٩١٨ ق.م بعد معارك قاسية إنتهت بفوزه على الدولة البطليموسية. والغريب هنا أن أهالي فلسطين انقسموا على أنفسهم فبعضهم حاول الإنضمام إلى مصر والآخر أراد البقاء مع سورية. وكذلك كانت الحالة في عهد نبوخذ نصر فإنهم انشطروا إلى شطرين أحدهما يطلب سورية والثاني مصر. وإذا قابلنا تلك الحالات بأيامنا الحاضرة نراها متماثلة فإن المؤتمر الفلسطيني الأول المنعقد سنة ١٩١٩ ق.م. انقسم أعضاؤه إلى قسمين طلب بعضهم الالتحاق بمصر والآخرون أرادوا الانضمام إلى سورية. ولو أمعنا النظر قليلاً لوجدنا أن فلسطين لم تستفد من الانشقاق القديم والانتقال شيئاً لأنها كانت تنتقل من نير إلى نير أو من حكم مصر إلى حكم سورية وكلاهما دولة يونانية على أن البطالسة كانوا يراعون شعور الوطنيين أكثر مما فعله السلوقيون .

## (١٧) المكابيون:

المكابيون أسرة تنتسب إلى بطل يهودي يسمى يهوذا ويلقب بمكابيوس

وهو جدير بالاحترام لما أظهره من الوطنيـة وأبـداه مـن الجـرأة فـالهب بحماسـته صدور بني قومه وأشـعل الثـورة العامـة لدفـع ظلـم الدولـة السـلوقية اليونانيـة والحركة المكابية مثال مـن الأمثلـة المسـطرة في بطـن التـاريخ والدالـة علـى أن الروح الوطنية الحقة إذا اختلجت في الصدور لا يقف أمامها قـوة ولا يضعفهـا بطش وأوضح برهان على ذلك أن شِرذمة يهودية غير منظمـة قـاومت الجيـش اليوناني السـوري وانتصـرت منـهُ لأن أفرادهـا أخلصـوا في عملهـم وإعتقـدوا بصحة قضيتهم واستماتوا في سبيل تحقيقها لمـا رأوا أن إنطيوخـوس عبـث بهـم وبتقاليدهم واستصغر بلادهم وباع وظيفة الحبر الأعظم إلى يشوع أخي أونياس اليهودي الذي كان مولعاً بالعادات الغربية وربيب المدينة اليونانيـة فكـان ماقتـاً لتقاليد قومه والذي افتتح أعماله بتغيير إسمه يشوع بإسم يوناني ياسـون وروج الملاهي والألعاب والعادات اليونانية المكروهة عند قومه فحسده أخوه أونيـاس وذهب إلى أنطيوخوس وشرى منهُ الرتبة الحبرية بـأكثر ممـا شـراها أخـوه فعينـه بعد أن عرض عليه شروطاً مجحفة بحق أمته وقبلها اسمه أونياس بمنلاوس. فعمـل أنطيوخوس مع الأخوين يشبه عمل الوزير ابن خاقان الـذي كـان يعـين الـوالي فإن زاد عليه أحد عزل الأول وعين صاحب الزيادة حتى قال فيه الشاعر .

وزيـــر قـــد تكـــامل في الرَّقاعـــة  يـولي ثـم يعـزل بعـــد ســـاعة
إذا أهـــل الـرشـى صـــاروا إليـــه  فـأحظى القـوم أوفـرهـم بضاعـة

ولما رجع منلاوس لاستلام وظيفته أبى أخوه أن يسلم إليه المدينة فتحاربـا ولم يتمكن أحدهما من قهر الآخر فجاء أنطيوخـوس مـن مصـر وأعلـن الحكـم العرفي فأباح المدينة ونهب الهيكل وعين قائده فيلبس الجائر حاكماً عاماً عليهـم

وكانت هذه الضربة أول وميض الشدة والجبروت الذي شرع أنطيوخوس يتمادى في أذكائه فأمر بالغاء الدين اليهودي من أصله وأكرههم على عبادة الآلهة اليونانية وأمر بنصب تمثال لزفس ومذبح في الهيكل لتعتز الخنازير عليه وأرغم اليهود على مشاركتهم في طقوسهم وحظر الاختتان وإضطرهم إلى الشغل يوم السبت وكان يجازي كل من خالف أوامره بالقتل وهذا غاية العسف ونهاية الشدة فلما بلغ الظلم أشده لم يصبر عليه اليهود ونهض الكاهن متاتياس وهو من قرية مودين "المدية" الواقعة شرقي اللد واعتصم بقريته وأخذ معه بنيه الخمسة ومنهم يهوذا مكابيوس "جد المكابيين" وبينما كانت الثورة تختمر في قلبه شعر بدبيب الهمة في نفسه واشتداد العزم بين جوانحه فطفق يبحث عن طريق الخلاص لأمته وإذا برسول يوناني قدم عليه ليكره الأهالي على عبادة الأوثان فغضب الكاهن وفتك به وحرض الشعب على خلع طاعة اليونان فناوأهم مدة ثم خلفه ابنه يهوذا فحارب السلوقيين وظفر بهم في مواقع كثيرة كمعركة بيت عور بين اللد ورام ا لله وبيت صور قرب مدينة الخليل وكانت النتيجة فوز الوطنيين على الأجانب وتخليص البلاد من الدخلاء فتولى المكابيون الإدارة من سنة ١٦٧ ق. م. إلى سنة ٣٧ ق. م. فلما رجعوا إلى سيرتهم الأولى وشجر بينهم الخلاف والنزاع أخذوا يستعينون بمن حولهم من الملوك فالتجأ هركانوس إلى الحارث العربي ملك بطرا "الحجر" واستصرخه على أخيه أرستبولوس فلباه وسار لنصرته بخمسين ألف مقاتل وحاصر أورشليم ولكنهُ لم يتوفق .

# الفصل الرابع

## الإحتلال الروماني من بومبي إلى عمر بن الخطاب

ورث الرومان "أجداد الإيطاليين" مملكة اليونان ومدنيتهم في الغرب والشرق ونحن نكتفي من هذا البحث بما يتعلق بفلسطين ضاربين صفحاً عن أسباب سقوط اليونان وتغلب الرومان فنقول أنه ظهر في فلسطين قائد روماني يدعى بومبي فاكتسحها وقضى على الحكومة اليونانية السلوقية بلا كبير عناء لأن البلاد كانت فوضى فالكلمة متفرقة والأحكام جائرة والحكام منهمكون في ملذاتهم .

دخل بومبي دمشق فخف لإستقباله زعيماً اليهود الشقيقان هركانوس وارستبولوس غصنا الأسرة المكابية الشهيرة وسعى كل منهما ليكون والياً على فلسطين ولما أن تشاغل عنهما بومبي ولم يصغ لقولهما ظنَّ أرستبولوس أنه جفاه وحده وأمل أخاه فشرع يستعد لمحاربة اليونان ولكن نتيجة عمله كانت وخيمة فزحف بومبي بجيشه إلى القدس وحصرها وفتحها عنوة وولى هركانوس والياً عليها خاضعاً للسلطة الرومانية وأمر بالغاء المجمع العام وقسم البلاد أقساماً خمسة وجعل لكل منها مجمعاً خاصاً تديره نظارة رومانية .

(١٨) هيرودس:

عاش هيردوس في عصر الرومان كيوليوس قيصر وبومبي وأنطونيوس أما

أبوه أنيباس فمختلف في أصله والأرجح أنه كان أدومياً ومن رجال هركانوس وأعوانه المقربين فدفع به جده وهمته العالية إلى أسمى الدرجات وساعده على ذلك انقسام الأسرة المكابية على نفسها ولما اختلف بومبي ويوليوس قيصر تربص حتى رأى رجحان كفة الثاني فسار بجيش إلى مصر وعضده يقال أنه لولا إنتيباس لما فاز قيصر في معاركه على أنه قتل غير مأسوف عليه. أما أبنه هيرودس فكان رجل حرب شجاعاً مقداماً قوي الإرادة ذكياً حاذقاً نزوعاً إلى العلى توفرت فيه شروط الإدارة وكان عسوفاً يضحي أعظم شئ لنيل غايته وتأييد عرشه سفاكاً فتاكاً فظاً قاسياً فقتل زوجته مريمنة لما وجد منها العطف على قومها وبني جنسها وهو المتدله بحبها وقتل من بنيه ثلاثاً وأمر بقتل أطفال بيت لحم. وكان إذا أراد أمراً فمانعه فيه أحد فتك به ولو كان من ذويه. ولما عين والياً على الجليل كسب ثقة بومبي بحسن سياسته فأمَّره أوغسطوس قيصر على اليهودية فقضى على سلطان المكابيين وابتدأت به الدولة الهيرودسية وقد حاول أن يوفق بين اليهود والرومان ليكون بنوه خلفاءه من بعد فلما حبط مسعاه شايع الرومان وساعد على توطيد حكمهم في فلسطين فأخضع الأمة اليهودية التي أقلقت راحة رومية بثوراتها واضطراباتها وله أعمال شاذة في سياسته نأتي على بعضها.

(١) اقترن "بمريمنه" إبنة إسكندر بن أرستو بولس وهي بنت إبنة هركانوس من الأسرة الحسمونية الشريفة ليتصل نسبه بنسب أهل الشرف ويجري دم الملوك في عروق أبنائه (كما فعل السلجوقي مع الخلفاء العباسيين في بغداد) تهوّد وبنى لهم الهيكل وراعى عواطفهم الدينية والقومية فلم يعدوه

إلا أجنبياً غريباً ولم يتقبلوا عطفه إلا بإشمئزاز وكانوا ينفرون منه كلما مال إليهم فتكشف لهم عن عدو في ثياب صديق وعاملهم بعنف وإضطهدهم بقوة .

(٢) كان كريماً وهاباً يقدم الهدايا الثمينة والتحف النادرة للرومانيين وهذا ما ساعده على بلوغ أربه وتفوقد على مناظريه.

(٣) كان متجدداً ليناً شغفاً بالمدينة الرومانية والعادات اللاتينية يتكيف بحسب الظروف والأحوال بخلاف اليهود الذين كانوا ينظرون إلى المدينة اليونانية والرومانية نظرهم إلى الكفر والألحاد ولقد ترك هيرودس آثاراً جمة في فلسطين.

(أ) قيسارية بنى مدينة قيسارية وسماها قيصرية نسبة إلى مولاه وهي واقعة على شاطئ البحر بين يافا وحيفا مشهورة بجودة بطيخها ولطافة هوآئها.

(ب) رمم مدينة السامرة وعمرها وسماها "سبسطية" وهي كلمة يونانية تعني أوغسطوس لقب القيصر في تلك الأيام.

(ج) بنى قلعة باب الخليل في القدس ولا يزال في أساس البناء الحالي حجارة ضخمة من ذلك الأثر الجسيم.

(د ) شاد برج انطونيا "القشلة السفلى" "مدرسة روضة المعارف" وسماها باسم أنطونيوس صديق كليوبتره الشهيرة.

واختط وشيد غير هذه القلاع والأبراج في فلسطين وشرقي الأردن هياكل لأوغسطوس وحمامات ومسارح في القدس وقيصرية وسبسطية ونقل الألعاب الرومانية الأولمبية المشهورة في البلاد فهو يشكر على هذه التحفة التي قابلها اليهود بالمقت والإزدراء.

وبعد وفاة هيرودس اقتسم أولاده مملكته ولم تدم طويلاً حتى ألتحقت مباشرة بروما وصار يبعث لها بحكام رومانيين. وأما إبنه هيرودس أنتيباس فهو الذي بنى مدينة طبريا وسماها باسم الإمبراطور طيباريوس .

## (١٩) السيد المسيح

لو أردنا أن نفصل تاريخ فلسطين لأجملنا به تاريخ العالم أجمع وأشرفنا على ماضي سالف الأمم لأنها حلقة اتصال الشرق بالغرب وبما أنا توخينا الاختصار في هذا السفر فلا مندوحة لنا عن التوسع قليلاً في سيرة المصلح الكبير السيد المسيح لأنه فلسطيني ويدين بدينه ٥٦٥ مليون نفس[1]. ولد من أبوين فلسطينيين يوسف النجار ومريم على رأي المسيحيين واليهود إلا أن القرآن الكريم ينص "أنه من روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم" ومثله عند الله كمثل آدم" تربى ونشأ في أرض فلسطين وشم عبير أزهارها ونسميها وأكل من خبزها وشرب من مائها وطاف مدنها وعلم أهلها وأختار تلامذته "حواريه" الأثني عشر من رجالها وصلب على تل من تلالها ودفن في ترابها

---

(١) أثناء كتابة هذا العمل.

(هذا رأي المسيحيين واليهود وفئة قليلة من المسلمين) ولكن أكثر المسلمين يعتقدون أنه لم يصلب بل شبه لهم وعرج إلى السماء حياً.

ولد المسيح في بيت لحم في عهد أوغسطس قيصر وفي أواخر حكم هيرودس فعاش في الناصرة التي ينسب إليها النصارى مع مربيه يوسف ومريم الفقيرين .

كانت حياته هادئة قبل أن بلغ الثلاثين وقد زاول حرفة النجارة عند مربيه يوسف فلما بلغ الرجولية شرع يبث دعوته وينشر مبادئه وتعاليمه بين قومه وأهله في الجليل وبين بسطاء الناس في الناصرة وحول طبريا ونهر الأردن ثم أنتقل إلى أورشليم مركز التعصب الذميم والتقليد الأعمى فجاهر بدعوته وصرح بمواعظه وأجلها ما جاء في إنجيل متى إصحاح ٥ و ٦ و ٧ أي عظة الجبل فمنها:

(١) سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن أما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضاً .

(٢) سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك أما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم. لأنه ان أحببتم الذين يحبونكم فأي أجر لكم وإن سلمتم على أخوتكم فقط فأي فضل تصنعون.

(٣) احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس كي ينظروكم. وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك .

(٤) متى صليت فلا تكن كالمرائين فأنهم يحبون أن يصلوا في المجامع وفي زوايا الشوارع لكي يظهروا للناس. فأنهم يظنون أنه بكثرة كلامهم يستجاب لهم.

(٥) لا تدينوا لكي لا تدانوا لأنكم بالدينونة التي بها تدينون تدانون وبالكيل الذي به تكيلون يكال لكم .

(٦) لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض .

فهذه خلاصة تعاليمه الإجتماعية والدينية إما آيته الذهبية فهي: "فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم أفعلو هكذا أنتم أيضاً بهم لأن هذا هو الناموس والأنبياء".

فلم ترق هذه التعاليم في عيون اليهود والبوا عليه الرأي العام وسخروا من أقواله وأتهموه بفريات ثلاث سياسية ودينية وهي:

١- أنه سمى نفسه ملك اليهود.

٢- وأنه قادر على نقض الهيكل وبنائه في ثلاثة أيام.

٣- وأنه سمى نفسه إبن ا لله.

ففر روامحاً كمته لأنه كفر في عرفهم. وقد خانه أحد تلامذته يهوذا الأسخريوطي فسلمه إلى اليهود في بستان الجثسيماني وسيق إلى محكمة الوالي الروماني بيلاطس البنطي الذي حكم عليه بالموت .

عاش المسيح على الأرض ٣٣ سنة فقيراً لا يملك من حطام الأرض

قنيطراً لأنه زهد في الدنيا وما فيها وأما المؤرخ يوسيفوس فقد قال: نشأ في أيام بيلاطس رجل حكيم علم مريديه الحق واستمال إليه العدد الكبير من اليهود وغيرهم وهذا الرجل هو المسيح. ولما حكم عليه بيلاطس بالصلب بإيعاز من زعماء اليهود لم يتركه أشياعه ومريدوه وظهر لهم بعد ثلاثة أيام من موته كما تنبأ عنه الأنبياء .

## (٢٠) جلاء اليهود ثانية عن فلسطين

طمع هيرودس في تأسيس مملكة يتوارثها نسله من بعده ولكنه أخفق في سعيه كما أخفق نابليون الذي حذا حذوه بعد ثمانية عشر قرناً وقد رمى كل منهما أن يكون جد أسرة مالكة شريفة. استقلت فلسطين في أيام هيرودس استقلالاً داخلياً تحت السيادة الرومانية وقد عجز أولاده بعد وفاته عن إدارتها فألحقها الرومان بمملكتهم كما فعل الأتراك في سورية وفلسطين فان سياستهم الأولى لهذين القطرين كانت على نهج الأقطاع "اللامركزية" فكان أمير الولاية مطلق اليد والتصرف في البلاد يؤدي الإتاوة والقطائع إلى الأستانة. وأن انتاب الدولة حرب يقدم لها عدداً معيناً من الجند.

ثم تبدلت الحالة وأخذت الأستانة ترسل إلى المدن الكبرى مشاهير القواد وعظماء الرجال لتجتذب الناس إليها فترغبهم في طاعتها وتخوفهم بطشها وتسوس البلاد بأولئك القواد حسب ما تشرع لهم من القوانين وما ألفه السكان من عرف وعادة .

وظلت الحال على هذا المنوال إلى أن ولي الملك عبد الحميد فكان يرسل

الولاة والحكام من حاشيته وأعوانه رجال "المابين" وهكذا انقلب حكم الرومان في فلسطين من استقلال داخلي إقطاعي إلى نظام إستعماري وأتخذوا قيسارية "قيصرية" مقراً لولاتهم لقربها من ساحل البحر وللحط من شأن القدس في عيون اليهود. ولكن الرومانيين لم يهنأوا بحكم فلسطين ولم يقوموا عليها على ضيق أقليمها وضعف سكانها الذين ظلت نفوسهم جائشة متحفزة تهيم بذكرى إستقلالها وتتغنى بنشيد حريتها. اعترضت هذه اللقمة الصغيرة في حلوقهم ولم يسيغوها فازعجت الولاة واتعبت وأقلقت مدينة نهر التيبر أكثر من الأقاليم التي هي أرحب محلاً وأكثر نفوساً. فلما قدم تيطس ازدردها وهضمها وقد عز بعض المؤرخين هذا الثبات إلى أعتبارات كثيرة منها:

(١) اعتقاد اليهود أنهم شعب ا لله الخاص الذي اصطفاه على العالمين فهم الخيار وغيرهم خول فحرمت شريعتهم مخالطة غيرهم لأنهم أرجاس كافرون.

(٢) نشر العادات واللغة والألعاب الرومانية مثل المسارح والملاهي والرقص والخمر والتماثيل مما كان يحرمها الدين اليهودي وينفر منها الأهلون فإذا ما أبصروها تنبهت فيهم العاطفة الوطنية والعصبية الدينية وهاجت روحهم القومية فيقاطعونها ويحتقرونها ولو أنهم أقبلوا على ذلك كما نحن نفعل اليوم لتلاشوا في غيرهم من حيث لا يشعرون. ولا يسعنا هنا إلا أن نعجب بانفة اليهود وأقدامهم على محاربة الرومان لما عبثوا بدينهم وذبحوا الخنازير في هيكلهم ونشروا أعلامهم خافقة فوق رؤوسهم موشاة

برسوم النسور (الصور محرمة عند اليهود) .

(٣) إيمانهم بأن ا لله إلههم وحدهم وأنه قادر على أنقاذهم من حكـم الأجـانب وقـد إبتلاهـم بهـذه المصـائب ليعلـم مقـدار صـبرهم ومتانـة اعتقـادهم. فرسخت هذه العقيدة في النفوس وكان الإنسان يكلف ربه كل شيء فلم يلبث ان صار يركن إلى رفقاه ثم إلى الحكومات فليت شـعري متى يـأتي اليوم الذي يعتمد فيه على نفسه فقط .

(٤) عسف الرومانيين اليهود فأنهم لم ينهجوا معهم نهج الصواب بـل سـخروا منهم ونبذوا شريعتهم وآدابهم فأكبر اليهود هذا العمل وهتفوا قائلين:

متى تجمع القلب الذكي وصارماً  وانـفـاً حـمـيـاً تـجتنبك المظالـم

(٥) خوارج اليهود الذين جنحوا للثورة فأخذوا يحرضون قومهم على ركـوب هذا المركب الخشن مؤكدين لهـم أن ا لله يسـاعدهم علـى تطهـير الهيكـل والبيت المقدس من نجاسة الرومان.

(٦) بطولة سكان فلسطين الذين ما غزاهـم أحـد وهـمّ بـأمتلاكهم أجنـبي إلا أسقط في يده وباء بخسران كبير.

(٧) وأن كل أمة لا ترضى أن تحكمها أمة أجنبية عنها ولو طال عليهـا الأمـد. فإذا هي حكمـت تذمـرت وتحفـزت للانتقـاض فـترقب الفـرص لتنتهزهـا وهذا ظاهر لدينا من حالة أرلندا والعـرب وبولونيـا فـأنهم لم ينسـوا أنهـم محكومون لغيرهم وعملوا على ازعاج حكامهم فظفر بعضهم بما تاق إليـه

وكذلك اليهود فإنهم لم يرضوا عن إدارة بيلاطس وأكثروا الشكايات عليه مع أنه تزلف إليهم بجلب مياه العروب إلى القدس وأمر بنحت أنابيب من الأحجار الضخمة ليجري فيها الماء. وفي فناء النوتردام في القدس نماذج منها تشهد بعظمة صانعها وقد أخفق لأنه عزم أن يصرف ريع أوقاف اليهود على عمارتها فمانعوه وقد إنتهت ولايته بعزله. وخلفه شخص حسن السيرة فكان نصيبه أسوأ وأنكد من سلفه ولم يجده لينه نفعاً لأن داخلية البلاد كانت في هياج مستمر فكثر قطاع الطريق وأخصبت الفتن. واستحكم الخلاف بين الحكومة والشعب وتجسم في عهد القائد الروماني الذي تعين سنة ٦٤ب.م لما طمع في أموال الهيكل وهَّم بسلبها فقاومه اليهود بكل قوتهم ومنعوه فأمر جنوده بالبطش بهم ونهب بيوتهم فإضطرمت لظى الحرب الأخيرة التي أدت إلى خراب القدس وتمزيق الأمة اليهودية. والحقيقة ان هذه الشرارة التي طارت من القدس ليست كافية لا ذكاء الثورة في سائر أرجاء فلسطين لو لم تكن جميع البلاد على تمام الأهبة والاستعداد للوثوب ولو لم تكن نفوسهم هائجة وأرواحهم ثائرة متوقفة على اهتزاز خفيف أو نسمة هواء تحركها فتثيرها كما أشار إلى ذلك نصر بن سيار:

أرى خلل الرماد وميض نار  ويوشك أن يكون لها ضرام

اشتدت الأزمة في أيام نيرون الطاغية الذي روى لنا التاريخ شيئاً من قساوته وشره وفساد أخلاقه فثار ثائر اليهود وطردوا الحامية الرومانية من

القدس فأرسل إليهم قائده فاسباسيان بقوة عظيمة ليخمد الثورة وينتقم من مسبيها فنزل في قيصرية لأنها كانت ميناء فلسطين وعاصمتها وبذل جهده نحو سنتين حتى أخضع القسم الشمالي من البلاد فاسترد طبريا وجسخلة والسامرة وأريحا وقبل أن وصل القدس فوجئ بوفاة نيرون في رومية فارتد مسرعاً إلى إيطاليا ليتبوأ مكانه وأناب عنه أبنه تيطس المشهور في محاربة اليهود واستئصال شأفتهم فقدم القدس بجيش يبلغ ثمانين ألف جندي كان فيه فرقة عربية "نبطية" فخيم على جبل الزيتون ومرتفع سكوبس وعلى تلال المسكوبية والنكفورية وحاصر المدينة التي كانت حصونها قائمة في ثلاثة مواضع :

(١) قلعة هيرودس وبقاياها القلعة الكائنة باب الخليل .

(٢) برج أنطونيا وآثاره لم تزل في القشلة السفلى شمالي الحرم .

(٣) الهيكل "الحرم" .

قال يوسيفوس في تاريخه أنه كان في القدس لما حاصرها تطيس ما يقارب مليون شخص. ونظن أن هذا لا يخلو من المبالغة لكن الرأي الراجح هو أن القدس ازدحمت بالمهاجرين من كل أنحاء فلسطين لاعتقادهم أن الله لا يسمح باعطاء مدينته وهيكله وقدس أقداسه إلى غير شعبه فذكر المؤرخ الروماني تاستس أنه اجتمع يومئذ في القدس نحو ٦٠٠ ألف نفس .

لقد تحمل تطيس العذاب المر قبل فتح القدس لأن اليهود حاربوه بشجاعة فائقة واستماتوا في حفظ بلادهم. وجدير بكل أمة تنزع إلى الإستقلال أن تدفع ثمنه مهما كلفها ولو لا ما حدث بين الأحزاب من الشقاق

لما وصل تيطس إلى أمنيته .

ولكنهم إنقسموا إلى ثلاثة فرق "١" حماة الهيكل بقيادة العازار "٢" حرس برج أنطونيا وقائدهم يوحنا الجسخلي "٣" حفظة قلعة هيرودس ورأسهم سيمون "سمعان" ولو تتبعنا ماضي اليهود وحاضرهم لوجدناه مفعماً بالانقسامات والتحزبات السياسية والدينية التي كانت تمهد السبل لإستبعادهم والتغلب عليهم .

كل أمرئ راجع يوماً لشيمته  وأن تخلق أخلاقاً إلى حين

فكانوا إذا اتحدوا سادوا فتدب عقارب الحسد في صدورهم فتطوحهم إلى هاوية الخلاف وينال منهم بسهولة ما كان صعباً. وهكذا داهمهم جيش تطيس وهم أحزاب يتخاصمون ويتناظرون فأيقظتهم مجانيقه وآلات حصاره فحاولوا الاتفاق ولكن سبق السيف العذل فطال الحصار حتى مات الناس جوعاً وانتشر الوبأ وسرى المرض من سوء الغذاء ورائحة الجيف المنتنة فرأف بهم وطلب إليهم أن يسلموا المدينة صلحاً ليعاملهم بالحسنى فأبوا وأصروا على الحرب وكانوا يبنون ليلاً ما يهدم نهاراً ولكن جهادهم لم يغنهم شيئاً وسقطت المدينة السفلى "برج أنطونيا" ثم الهيكل ثم المدينة العليا "القلعة" والتي أبقاها مأوى للجنود. وأمر بهدم برج أنطونيا واحترق الهيكل من يد جندي بغير إرادة تطيس ولكنه أجهز على الأمة اليهودية وفتك بهم بلا عدل ولا رحمة.

ففر أحد الزعماء إلى قلعة "مسادا" وأسر الآخران وهما يوحنا الجسخلي

وسيمون فسيقا إلى رومية ليسيرا في موكب النصر الذي كـان يحتفـل فيـه بعـد عودة قائدهم ظافراً منصوراً فكانت عادة الرومانيين أن يقف القائد المنتظر عند رجوعه إلى رومية في ساحة كمبوس مرتيوس خارج المدينة ويخلعـون عليـه ثوبـاً أرجوانياً مزركشاً بالذهب ويتوجونهُ بنسر ذهبي ثم يجف بـه القـواد والعسـكر مكللين بغصون الدفلى فيمر من أمامهم العدو المأسور ولو كان ملكاً أو عظيماً وهنالك يبنون قوساً لذكرى تلك الفتوحات وكل من يزور رومية يـرى قـوس تطيس شاهداً على خراب القدس .

يوجد أمام فندق مرقص عمود شاخص نقش عليـه كلمـات لاتينيـة فلـو تبيناها لقصت علينا حادثة القدس وخبر الفرقة العاشرة الرومانية التي تركت في القدس للمحافظة على آثارها بعد خرابها .

## (٢١) قلعة مسادا

على شاطئ البحر الميـت قـرب عـين جـدي بنـى هـيرودس حصنـاً فـوق صخرة عظيمـة وحفـر لـه الآبـار وشـحنه بالذخـائر والأرزاق والعـدد اللازمـة ليعتصم به إذا داهمه الخطر. فلما قضى تطيس على اليهود خف أحد زعمائهم العازار بألف رجل وإلتجأ إلى هذا الحصن المنيع فلم تحمه البريـة علـى إتسـاعها ولم تحفظه الحصون المشيدة بمناعتها فقد عقبهم جند تطيس وحصروهـم وبينمـا هم يتوقعون التسليم رأوا ليلاً ناراً مضطرمة في القلعة ولما تنفس الصبـح صعـد جند الرومان على سلالمهم فلم يسمعوا دبيباً ولا صوتـاً فحـاروا في أمرهـم إلى أن ظهر لهم أمرأتان قالتا لهم قد فاتكم الغنـم فـإن قائدنـا الكبـير العـازار شـعر

بعجزه عن حماية الحصن فطلب إلى رجاله أن ينتحروا خيفة أن يأسرهم أعداؤهم فأستحسنوا نصحه وودع كل منهم زوجه وبنيه وقتلهم بنفسه ثم أنتخبوا عشرة رجال من بينهم من عهد إليهم بقتل الباقين فأنجزوا عملهم وأختاروا أحدهم فقتل التسعة وأحرق كل ما في الحصن وقتل نفسه ولم يبق هنا إلا نحن وخمسة بنين. فعجب الرومان من هذه الجرأة وكان لسان حالهم يقول أن هؤلاء الرجال العظام هم أبطال الوطنية وخليقون بالإجلال والاحترام. سبيت الأمة اليهودية وهدمت عاصمتها وهيكلها مرتين الأولى من البابليين والثانية من الرومانيين فخدمت هممهم وخابت آمالهم بعد أن جاهدوا بأنفسهم وبذلوا أرواحهم دفاعاً عن إستقلالهم .

## (٢٢) هدريان

لا ريب أنه يغشى البلاد نعمى وبؤس كما يغشى الأفراد والأمم فبينما نرى القدس عاصمة تصدر منها الأوامر وتبرم فيها الأمور والأحكام إذا هي خراب بباب تنعق على إطلالها الغربان ولكن لم يكن يمضي عليها بضع عقد من الزمن حتى ترأها قد استجمعت قواها واسترجعت جدتها فلو قابلنا صدماتها وما انتابها من المصائب بما أصاب غيرها من البلدان والمدن لعجبنا واستغربنا كيف أنها تحدد حياتها بعد أندثارها وغيرها يبيد ويمحق ولكن مكانتها الدينية في نفوس مقدسيها تحملهم على تعميرها وتجيد بنائها بخلاف البلدان الأخرى التي لا يشفع فيها مركز إقتصادي أو سياسي أو ديني.

إن الزمن الواقع بين عهد تطيس والفتح العمري يقرب من ستة قرون

أي ٥٦٧ سنة فهو مجلد ضخم أكثر صفحاته بيضاء لذلك أجملناها لقلة ما فيها من الأخبار الجليلة حباً بالأختصار ومن شاء التوسع فليراجع مظانها في بطون المطولات.

مضى على القدس ستون عاماً وهي خربة وفلسطين ساكنة مهيضة الجناح منهوكة القوى لأن الرومان تنبهوا وعرفوا أن الفتن والقلاقل في فلسطين كانت تنبعث من القدس فحظروا على اليهود الرجوع إلى عاصمتهم إلى أن ولى الحكم الأمبراطور هدريان "أدريان"✪ فجدد عمارة القدس وسماها "إيليا كابيتو لينا" فحنّ اليهود للرجوع إليها ودبت فيهم روح الأنفة والحمية فقام رجل إسمه باركوخب (إبن كوكب) وجاب البلدان وعرف الكهوف والجبال والبطاح والمداخل والمخارج والأماكن الوعرة الصالحة للدفاع ثم لقح الأفكار سراً ببذور الثورة وبعث في قومه صرخة أدعى بها أنه هو المسيح الذي سينقذ أُمتهُ من استعباد الأجانب ويخلصهم من ظلم الرومان فتبعه نفر ليس بقليل أزعج بهم حزمة رومة وأقلقها ثلاث سنوات. فأوفد إليهم هدريان قائده الجبال العاتي سفروس الذي أخضع الجزر البريطانية فسحق اليهود وقهرهم في معركة بتبر وكان ذلك آخر العهد بالحروب اليهودية.

قف هنا أيها القارئ هنيهة وتأمل في عظمة الإمبراطورية الرومانية وضخامتها وأذكر اسم القائد سفروس الذي فتك ببرابرة بريطانيا وسل نفسك أين ذهبت تلك الدولة وكيف أفل بدرها؟؟ وكيف ترقى أولئك البرابرة

---

✪ المسماة أدريانوبل "أدرنه" على أسمه .

وورثوا تلك الإمبراطورية العظيمة في سعة حكمها وأقطارها !!

## (٢٣) قسطنطين وتنصير فلسطين

في أوائل القرن الرابع للمسيح انشقت الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين المملكة الغربية وعاصمتها رومية والشرقية وعاصمتها بيزنطيه✪ وهي الحكومة التي كانت مسيطرة على فلسطين فقدمت الملكة هيلانه أم قسطنطين إلى القدس وبنت كنيسة القيامة التي يحج إليها المسيحيون وكنسية بيت لحم "المهد" ومن ذلك العهد تنصر أهل فلسطين فاضطهدوا اليهود وأجلوهم عن البلاد .

وفى القرن الرابع والخامس ب.م أسست الصوامع والأديرة ومنها دير مارسابا المشهور الواقع في الجنوب الشرقي من بيت لحم وكثر عدد الرهبان والسكان. ولكن مكروب الفساد وسوس الانحلال دبّ في جسم المملكة البيزنطية فنخر عظامها وعظم الخلاف بين رجال الأكليروس إذ ذهب بعضهم أن السيد المسيح ذو طبيعة ومشيئة واحدة وبعضهم قال أنه ذو طبيعتين ومشيئتين إلهية وإنسانية، وقال الأريوسيون أن هو إلا رسول ونبي كريم فمالت الحكومة إلى القائلين الطبيعتين واضطهدت كل من خالفهم وبينما هم يتجادلون ويختصمون هجم الفرس على سورية وفلسطين سنة ٦١٤ ب.م واغتصبوها وأغراهم يهود العراق وسورية بالإنتقام من المسيحيين فهدموا

---

✪ الأستانة وتدعي أيضاً القسطنطينية نسبة إلى قسطنطين أول أمبراطور تنصر وأمر بتعميم الديانة المسيحية فتبعه خلق كثير وأصبحت الديانة المسيحية دين الحكومة الرسمي .

كنسية القيامة وقسماً كبيراً من القدس وجاهر يهود انطاكية بالعصيان وقتلوا بطريركها وكذلك ساعدوا العرب على فتح فلسطين ودلوهم على مدخل قيسارية وهذه طبيعة كل الأمم المغلوبة على أمرها فما دخلت حكومة بلاداً كان فيها يهود إلا كانوا آلة للفاتحين سنة ا لله في خلقه:

إذا لم يكن للمرء في دولة أمرئ  نصيب ولا حظ تمنى زوالها

ولما بلغ هرقل ما فعل الفرس جهز جيشاً ونهض من القسطنطينية وحاربهم وانتصر منهم سنة ٦٢٨ ب.م واسترد سورية وخشبة الصليب. ولكن دولته كانت بالغة من الكبر عتياً وظهر عليها الضعف والفتور فعجزت عن دفع فيضان الحكومة العربية الفتية وتقلصت إلى داخل حدودها .

## (٢٤) آثار اليونان والرومان في فلسطين

شهد التاريخ على فلسطين أنها بلاد احتلال واستعمار فإن لم يكن يهودياً كان أشورياً أو بابلياً أو فارسياً أو مصرياً أو رومانياً أو يونانياً أو تركياً أو إنكليزياً ولا نعلم كيف يكون المصير .

فلسطين بلاد أسيوية اغتصبها الغرب من الشرق أزماناً وتناوبتها دوله فأبتدأ هذا المد بالموجهة الفلسطينية وتبعها طوفان اليونان ثم فيضان الرومان وسيل الصليبيين المتدفق وختم بالاحتلال الإنكليزي والوطن القومي اليهودي .

ولكن الشرق لم يقف أمامه صاغراً بل كان يثأر منه الكيل كيلين وغزا أوروبا وأحتلها قروناً متعددة وحكم في أهلها فنشط الفنيقيون إلى إستعمار

بلاد اليونان والكلتين وجزر البحر الأبيض وبريتانيا✿ ثم غزا الفرس دولة اليونان واستولوا على بلادهم ثم فتح العرب أسبانيا وجنوب فرنسا وجزر البحر المتوسط وانحدر التتر "المغول" من شمال غربي البحر الأسود والفوا هناك حكومات وإمارات وأُردف كل هذا بفتوح الأتراك العثمانيين وإكتساحهم شرق أوروبا حتى فينا فلو قابلنا المد والجزر في كلتا القارتين لتساويا ولكن ختمت رواية القرن التاسع عشر والشرق قن الغرب سياسة وعلماً وإقتصاداً.

ليست المدة التي بين فتح الأسكندر والفتح الإسلامي قصيرة بل تبلغ ٩٧٠ سنة أي من ٣٣٣ ق.م - ٦٣٧ ب.م وهي كافية لإندغام سكان آسيا بأهالي أوروبا لأنهم الحاكمون ولكن مضى هذا الزمن الطويل ولم يعلق بنا وببلادنا لا النزر اليسير نفرد له فصلاً خاصاً من هذا الموجز:

## (١) اللغة اليونانية:

أن كل قائد فاتح يحمل لغته معه حيث سار فتنازع لغة البلاد وتضارعها فيفوز الأنسب ويبقى الأصلح فلما نهض اليونان كان الشرق وتضارعها فيفوز الأنسب ويبقى الأصلح فلما نهض اليونان كان الشرق محموماً ففتحوا مدنه وأقاليمه ونشروا لغتهم الجميلة فانتبذها الأهالي وانحصرت بين الطبقة المتهذبة وفي مجالس الخاصة وأندية الأدباء فقط كما هي اللغة الإنكليزية والفرنسية الآن وعجزت عن مزاحمة لغة أهل البلاد الوطنية وهي اللغة الآرامية ولكنها

---

✿ لفظة سامية مركبة من كلمتين بريتا "بلاد" آنيا "أناء التنك" أي "بلاد التنك" أطلق الفنيقيون هذا الاسم على بلاد الإنكليز لكثرة معدن التنك فيها فعلق بهم إلى يومنا هذا .

تغلبت على اللغتين اللاتينية والعبرية الدخيلتين فقد مضى قرن وثلث على حكم الرومان للبلاد واللغة اليونانية ذات السيادة فدَّون المسيحيون أناجيلهم بها وتفننوا في رسائلهم بآدابها وأهملوا اللغة العبرانية ولغة الحكومة اللاتينية .

(٢) المدن :

شاد اليونان في الشرق الأدنى مدناً كبيرة وعظيمة منها الإسكندرية وإسكندرونة وأنطاكية وجرش وعمان أما المدن الرومانيه فهي بعلبك ومن زارها يحني رأسه أعجاباً من تلك المدينة الفائقة والبناء الضخم وقيسارية وسبسطية وطبرية ويروى أن الإسكندر أسس نحو ٦٠ مدينة في الشرق جعلها مراكز لبث الدعوة اليونانية ونشر المدنية الغربية وأسكن بها دعاة اليونان الذي كانوا يبشرون بالروح اليونانية "التفرنج" .

(٣) الروح اليونانية "Hellenism"

ربما كان خير تفسير لكلمة هيلنزم "التفرنج" أي نقل عادات الأفرنج وألعابهم وأخلاقهم ولذلك سعى اليونان جهدهم لجعل البلاد يونانية فبشروا بديانتهم وشوقوا الناس إلى اقتباس عاداتهم وآدابهم فبنوا المسارح وملاهي التمثيل في مدنهم ونحتوا تماثيل لمشاهيرهم وآلهتهم فعبدت الأصنام وآثارها باقية في بعلبك فإن صح لنا أن نشابه بين الماضي والحاضر نقول أن كرة القدم والملابس المقصرة والرقص والسينما وغير ذلك يشبه ذات الروح التي توخاها اليونان في عصرهم .

كانت مدينة الإسكندرية وإنطاكية عش الدعوة اليونانية ومنهما تشع

روحهم وتتوزع على سائر أقطار الشرق. فقد نبغ في سورية من الفلاسفة والأدباء نفر غير قليل وزهت المدنية اليونانية ونضجت المعارف وازهرت العلوم في عاصمة البطالسة وكثرت المكاتب والآلات الفلكية لرصد الكواكب وأدوات الهندسة وآلاتها فاليونان أساتذة العالم وأدلاَّء الشرق ومرشديه ولقد كان لهم عشر مدن في فلسطين تدرس فيها تعاليمهم وتعرض فيها مدنيتهم فتلاشت من ترفض اليهود وكرههم لها .

وإن من تنقل في أطراف فلسطين وتأمل قليلاً يرى آثار القناطر والطرق والهياكل التي تركها لنا الرومان كنا سنفصله في هذا التاريخ عن مدن فلسطين.